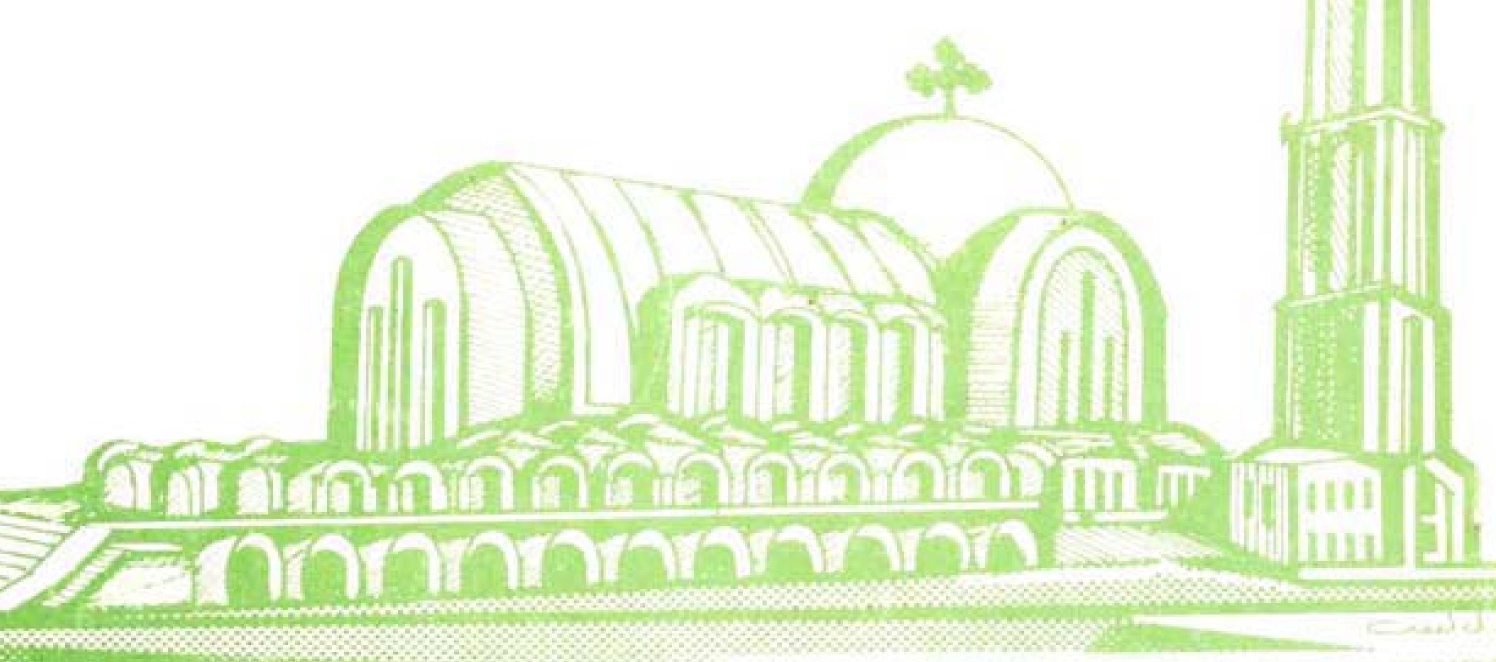
البابا شنوده الثالث

الخلاص في المفهوم الارثوذكسى



البابا شنوده الثالث



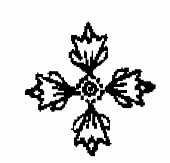
SALVATION
In the Orthodox Concept
by H.H. Pope Shenouda III

6th print
Oct. 1988
Cairo

الطبعة السادسة
أكتوبر ١٩٨٨
القاهرة



قداسة البابا شنودة الثالث



بسم الآب والابن والروح القدس ، الاله الواحد



نقدم لكم فى هذا الكتاب محاضرتين ألقاهما نيافة الأنبا شنوده فى مؤتمر خدام الوجه البحرى المنعقد فى بنها خلال شهرى مارس وأبريل سنة ١٩٦٧ ليوضح المفهوم الأرثوذكسى للخلاص •

وتفضل نيافة الأنبا اغريغوريوس فراجع الكتاب ، وكتب تصديرا له، كما كتب المقال الأخير فيه •

أسرة الكلية الاكليريكية

تفضل فراجع هذا الكتاب مشكورًا

نيافة الأنبا إغريغوريوس

أسقف عام البحوث والدراسات العليا



صاحب القداسة البابا كيرلس السادس
بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

محتويات الكتاب

صفحة

تصدير

لنيافة الأنبا اغريغوريوس
أسقف عام الدراسات العليا والثقافة القبطية
والبحث العلمى

هذا البحث الذى كتبه نيافة الأنبا شنوده أسقف المعاهد الدينية والتربية الكنسية ، بحث يمتاز بالوضوح والدقة والشمول ، فى موضوع من أهم الموضوعات التى تشغل أذهان المؤمنين فى كل العصور • لأنه يتصل بقضية « الخلاص » وهى غاية الايمان (١) ، وتاج الرجاء (٢) المسيحى •

لكنه أيضا موضوع الساعة بالنسبة للجدل الكبير الجارى الآن بين الارثوذكسيين وغير الارثوذكسيين ، الجدل الذى تثيره على الخصوص جمعيات خلاص النفوس البروتستانتية التى انتشرت فى كثير من بلاد جمهوريتنا ، ونشرت بين الناس سموم تعاليمها الغريبة عن ايماننا الارثوذكسى وتراثنا الرسولى الخالد ، مقنعة بقناع اللاطائفية لأنها لا تقوى على أن

---

(١) بطرس الاولى ١ : ٩
(٢) تسالونيكى الاولى ٥ : ٨

تظهر سافرة في بروتستانيتها الحقيقية ، بعـد أن تبينت ما أصـاب البروتستانتية من ضعف وذبول نتيجـة للنشـاط والحيوية واليقظة التي تمشت في جسم كنيستنا الارثوذكسية اكليروسا وشعبا . لذلك تسترت جمعيات خـلاص النفوس بستار اللاطائفية وأحيانا تحت أسماء أرثوذكسية مع أنها في حقيقتها فروع لمنظمة أمريكية تريد أن تغـزو العـالم شرقا وغـربا ، تسمى نفسـها في الغـرب « بجيش الخــلاص » Salvation Army ، وأما هنا في بلادنا فتختبيء وجهها تحت قناع براق وتسمى نفسها بجمعيات خلاص النفوس . وقـد كشفنا عن هذه الجماعة وحقيقتها في كتاب صدر عن الكليـة الاكليريكية بعنوان « الاقباط الارثوذكس وجمعيات خـلاص النفوس البروتستانتينية » (٣) .

تقرأ كتاب الأنبا شنوده عن الخلاص في المفهوم الأرثوذكسى فترى التعـليم الأرثوذكسى القويم مؤيدا بمنطق سـليم ، واستخدام صحيح للنصوص المقدسة كاشـفا الأغاليـط التي تسوقها بعض الشيع البروتستانتية المتطرفة وجمعيات خلاص النفوس ، ومجيبا على أسئلتهم واعتراضاتهم التي يضـللون

---

(٣) بيان للشعب الارثوذكسي من الكليـة الاكليريكيـة اللاهوتية ، ظهرت طبعـته الأولى في يونيو سـنة ١٩٦٢ ، والطبعة الثانية في يوليو سنة ١٩٦٢ .

بها البسطاء من أبناء شعبنا والذين انخدعوا بأفكارهم الباطلة وهرطقاتهم الفاسدة •

انني أشهد أن هذا الكتاب القيم أمكن أن يعالج موضوع « الخلاص » لأول مرة معالجة وافية ، تكفى لأن تعطى صورة مشرقة صادقة لتعليم كنيستنا الارثوذكسية فى مشكلة الخلاص •

•••

ألا ليت المؤمنين الارثوذكسيين يذكرون دائما هذا التعليم القويم • ويمارسونه بتقوى واتضاع ، ويبشرون به غير الارثوذكسيين •

وعلينا جميعا أن نحفظ ولا ننقل التخم القديم (٤) ، ولا نرتبك بالغرور وبفلسفة (٥) التعليم الكاذب الذى يعلم به قوم جاءوا الينا ليفسدوا أذهان شعبنا ويسلبوه البساطة التى فى المسيح (٦) •

ان سيدنا ومخلصنا يأمرنا بأن نحفظ وديعة الايمان وأن نتمسك بما تعلمنا وتسلمنا « تمسكوا بما هو عندكم الى أن آجىء » (٧) •

---

(٤) أمثال ٢٢ : ٢٨ ، ٢٣ : ١٠

(٥) كولوسى ٢ : ٨

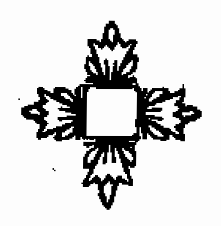
(٦) كورنثوس الثانية ١١ : ٣

(٧) الرؤيا ٢ : ٢٥

وليبارك الرب كنيسته ، وليبارك هـذا الكتاب لمنفعـة قارئيه وسامعيه ، ويجزى بالصالحات وكل البركات نيـافة أخينا الحبيب الأنبا شنوده الذى تعب فى تصنيفه وتبويبـه بما فى قلبه من غيرة رسولية على خلاص النفوس ٠

ولعظمته تعالى الشكر دائما ٠

اغريغوريوس
بنعمة الله أسقف عام
للدراسات العليا والثقافة القبطية والبحث العلمى



مقدمة

خطورة استخدام "الآية الواحدة" !

فى موضوع الخلاص أيها الأخوة ـ كما فى أى موضوع آخر ـ احترسوا جدا من خطورة استخدام آية واحدة من الكتاب المقدس • **ان الكتاب المقدس ليس هو مجرد آية أو آيات ، وانما هو روح معينة تتمشى فى الكتاب كله •**

الشخص الجاهل يضع أمامه آية واحدة ، أو أجزاء من آية ، فاصلا اياها عن ظروفها وملابساتها وعن المعنى العام كله • أما الباحث الحكيم ، الذى يتوخى الحق ، فانه يجمع كل النصوص التى تتعلق بموضوع بحثه ، ويرى على أى شىء تدل ••

وفى موضوع الخلاص ، نرى أمثلة من خطورة الآية الواحدة :

✠ آمن بالرب يسوع المسيح فتخلص أنت وأهل بيتك (أع ١٦ : ٣١)

هذه الآية يتخذها البعض برهانا على الخلاص بالايمان فقط !! لأن فيها يقول بولس الرسول لسجان فيلبى : « آمن ••• فتخلص ••• » (أع ١٦:٣١) • وينسى الذين يستخدمون هذه الآية عدة أمور هى : لمن قيلت ؟•• وتكملة

الآية ؟٠٠ وماذا حدث بعـــدها ؟٠٠ والآيات الأخرى المتعلقة بالموضوع ٠

١ ـ أولا : قيلت هذه الآية لرجل أممى ، غير مؤمن ، مهما فعل من أعمال صالحة فلن تجديه شيئا بدون الايمان بالمسيح !!
لذلك كان لابد من ارشـــاده الى الخطوة الأولى التى بدونهـا لا يمكن أن ينال شيئا من الخلاص ٠ فاذا خطا هــذه الخطوة ، يمكن ارشاده الى ما يتلوها من خطوات ٠٠٠ لم يكن مناسبا أن يكلم الرسولان هذا السجان عن أهمية الأعمال الصالحة ، لأنهـا بالنسبة اليه لا يمكن أن تفيــــده وهو غير مؤمن ٠٠٠ والوضع السليم أن يتدرجا معه خطوة خطوة ، حتى يصل ٠

٢ ـ والخطوة الأولى تستخدم أحيـانا فى الكتاب المقـدس للدلالة على العمل كله الذى يبدأ بتلك الخطوة ٠

مثال ذلك قول سمعان الشيخ عندما حمل المسيح الطفل بين ذراعيه : « الآن يا رب تطلق عبدك حسب قولك بسلام ، لأن عينى قد أبصرتا خلاصك ٠٠٠ » (لو ٢ :٢٨ـ٣١) بينما أن سمعان الشيخ لم يبصر خلاص الرب الذى لم يتم الا بدم المسيح على الصليب ، عنـــدما دفع الرب ثمن الخطيئة بموته عنا !! ولكن سمعان أبصر فقط تجسد الرب وميلاده ٠ ولمـا كان تجســد الرب هو الخطوة التنفيذية الأولى التى تؤدى الى الخلاص ، لذلك قال سمعان الشـيخ فى ثقة : « لأن عينى قد أبصرتا خلاصك ٠٠٠ » ٠

وبهذا الأسلوب تقريبا ، تحدث بولس وسيلا مع سجان فيلبى ، ليس على أن ايمانه فقط هو الذى سيخلصه ويخلص أهل بيته ، وانمــــا على أنه الخطوة الأولى التى تؤدى الى كل ذلك ٠

ولعله بهذا الأسلوب أيضا ، لما وعد زكا بأن يرد ما سلبه من الناس أربعة أضعاف ، قال له الرب : « اليـــوم حصل خلاص لهذا البيت » (لو ١٩:٩) ٠٠٠ أى أن توبة زكا هى الخطوة الأولى التى تؤدى الى خلاص البيت ٠٠

٣ ــ وأكبر دليل على أن المقصود بهذا الخلاص هو الخطوة الأولى المؤدية اليه ، هو قول الرسول لهذا السجان : « فتخلص أنت وأهل بيتك » ٠

اذ كيف يمكن أن يخلص أهــــل بيته بمجرد ايمانه ؟! ٠ هل ايمان انســـان يخلص شخصا آخر ؟! ٠ ولــكن الوضع السليم هو أن ايمان هذا الشخص هو مجرد الخطوة الأولى التى ستقوده الى الخلاص عندما يعتمد باسم يسوع المسيح ، وأيضا سيقنع أسرته بالايمـــان ويكون فاتحة خير للأسرة ، وهــكذا يخلص هو وأهل بيته ٠٠٠

٤ ــ ولذلك نرى أن هذه الآية كان لهــا تكملة ، اذ يقول الكتاب أن بولس وســيلا « كلماه وجميع من فى بيته بــكلمة الرب ٠٠٠ واعتمد فى الحال هو والذين له أجمعون » ٠

٥ ـ ونحن اذا أخذنا هـــذه الآية : « **آمن بالرب يسوع فتخلص أنت وأهل بيتك** » ، انما يجب أن نضع الى جوارها آيات أخرى لنكمل فهم الموضوع . وسأذكر لكم مثالا بسيطا له دلالته القوية :

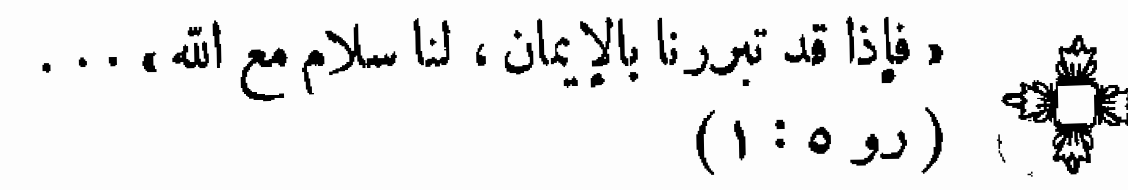
تقدم شاب الى السيد المسيح ليسأله : « أى صلاح أعمل لتكون لى الحياة الأبدية ؟ » (مت ١٩ : ١٦) ، **فلم يقـل له السيد المسيح : « آمن فتخلص » ، وانما قال له : « ان أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا » .**

هـــل نجرؤ نحن ونقول ان مجرد حفظ الوصـــايا كاف للخلاص ، بدون ايمان ، وبدون معمودية ، وبدون أسرار ؟!! كلا اننا لا يمكن أن نخطىء الى أنفسنا ولا الى النـاس ولا الى الايمان ذاته باستخدام الآية الواحدة ...

فى هذا المثال أيضا نجد أن الشاب عندما قال عن الوصايا: « هذه كلها حفظتها منـــذ حداثتى ، فماذا يعوزنى بعد ؟ » حينئذ قال له ربنا يسوع : « ان أردت أن تكون كاملا ، فاذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء فيكون لك كنز فى السماء وتعال اتبعنى » . **هنا أيضا لم يحدثه السيد المسيح عن الايمان . ولا عن النعمة ... فهل نستخدم نحن هذا المثال لنقلل من قيمة الايمـان ، اذ لم يرد له ذكر فى حديث الرب عن نوال الحياة الأبدية ؟!**

كلا ، حاشا لنا أن نفعل هــذا ونستخدم الآية الواحدة • فلكل مجال الكلام اللائق به • وفى هذا المثال كلم الرب الشاب الغنى بمـــا يناسب حالته وبما يعـــالج أمراضه الداخلية الأصيلة •••

نتناول آية أخـــرى من التى يستعملها البروتستانت ومن يجرى فى مجراهم •••



« فإذا قد تبررنا بالإيمان ، لنا سلام مع الله » . . .
(رو ٥ : ١)

يأتيك انسان من الذين يهتمون بالآية الواحدة ، ويقول لك : هوذا أمامك آية صريحة تقول ان التبرير بالايمان ، فلا داعى لأن تجادل أو تفتح فمك ! هــل تنكر الآية أو تعارض كلام الله !••

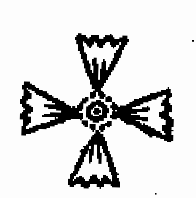
لا يا أخى ، نحن لا ننكر الآية ، ولا نعـارض كلام الله • ولكننا نضع الى جوار هــذه الآية آية أخرى من نفس رســالة بولس الرسول الى أهل رومية ، ونرى ماذا يمكن أن نفهمه من الآية• يقول الرسول : «لأن ليس الذين يسمعون الناموس **هم أبرار عند الله ، بل الذين يعملون بالناموس هم يبررون »** (رو ٢ :١٣) •

هنـا كلام عن تبرير من يعمـل بالناموس • هـل نسمح

لأنفسنا أن نخطىء ونستخدم الآية الواحدة ، ونقول ان الأعمال وحـــدها هى التى تخلص ، معتمدين على قول الرســـول : « بل الذين يعملون بالناموس هم يبررون » ؟! كلا ، بل نحن نضع الآيتين معا (رو ٢:١٣) ، (رو ٥:١) ونخرج بتعليم صحيح يتفق مع كلام الله ، وهو أن عمل الايمان فى التبرير لا ينكر أهمية الأعمال ، ولزوم الأعمال للتبرير لا ينكر قيمة الايمان ...

هذه الآية التى تقول « اذ قد تبررنا بالايمان » ، نضع الى جوارها آية أخرى هى «**ترون اذن أنه بالأعمال يتبرر الانسان، لا بالايمان وحده** . كذلك راحاب الزانية أيضا ، أما تبررت بالأعمال ، اذ قبلت الرسل وأخرجتهم فى طريق آخر »
(يع ٢ : ٢٤ ، ٢٥)

نأخذ آية أخرى :



« ... وأما الذى لا يعمل ، ولكن يؤمن بالذى يبرر الفاجر ، فإيمانه يحسب له برا» (رو ٤ : ٥)

فهل تعنى هذه الآية أن الله يبرر الفاجر اذا ثبت فى فجوره دون عمل التوبة ؟! حاشا . اذن لكى نفهم هذه الآية فلنضع أمامها آيات أخرى توضحها . ولنبدأ بآية من نفس الرسالة

الى رومية حيث يقول الرســول (١٨:١) : « **لأن غضب الله معلن من السماء على جميع فجور الناس واثمهم** » •

ونضيف اليهــا آية أخرى من الرســالة الثــانية لبطرس الرسول : « واذ رمد مدينتى ســدوم وعمورة ، **حــكم عليهما بالانقلاب ، واضعا عبرة للعتيدين أن يفجروا** » (٢بط٢:٦). وهكذا أظهر لنا الرسول أن الفاجر يشترك فى مصير سدوم وعمورة •

وهذا أيضا يشرحه معلمنا يهوذا الرسول اذ يقول : « وتنبأ عن هؤلاء أيضا أخنوخ السابع من آدم » ، قائلا : « هوذا قد جاء الرب فى ربوات قديسيه ليصنع دينــــونة على الجميع ، **ويعاقب جميع فجارهم** ، على جميع أعمال فجورهم التى فجروا بها » (يه ١٤،١٥) •

لا يمكن أن نفهم اذن من الآية التى قالها بولس الرسول أنه يكفى للفـــاجر أن يؤمن فقط لكى يخلص ، مع بقـــائه فى فجوره • فان بولس نفسه أنذرنا فى صراحة تامة قائلا : « **لا تضلوا • لا زناة ، ولا عبـــــدة أوثان ، ولاَ فاسقون ، ولاَ مأبونون ، ولا مضاجعو ذكور ••• يرثون ملــكوت الله** » (١ كو ٦:٩،١٠) •

أما عبارة «لا يعمل» فلعل المقصود بها هنا أعمال الناموس الطقسية ، كالختان بالذات كما يظهر من باقى النص (رو ٥ : ٦ ــ ١٢)

لا يصح مطلقا أيها الأحباء أن نسير بطريقة الآية الواحدة ، فهى طريقة خاطئة وخطرة وغير أرثوذكسية •

ان أتاك أحد فى يوم من الأيام بآية من الآيات ، مهما كانت صريحة وواضحة ، فقل له : أنا لا تنفعنى الآية الواحدة • لنضع أمامنا جميع النصوص التى تتعلق بهذا الموضوع ، ثم نتفاهم معا • احترسوا من أن تخدعكم الآية الواحدة ، فربما لها مناسبة معينة • وربما لها تكملة ، وهذه التكملة هى التى توضح معناها • وسأضرب لكم لذلك بعض الأمثلة •

آيات ، تكملتها توضحها

يقول بولس الرسول فى رسالته الى أفسس (٢:٩) :

« لأنكم بالنعمة مخلصون ، بالايمان • وذلك ليس منكم ، هو عطية الله • ليس من أعمال كى لا يفتخر أحد » •

هذه آية قد تبدو صريحة • ولكن تمهل قليلا ، واقرأ الآية التى بعدها مباشرة (أف ٢:١٠) ، يقول : « لأننا نحن عمله مخلوقين فى المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها لكى نسلك فيها » • اذن لا يليق أن نخطف آية ونجرى ، قائلين فى خفة : ان الموضوع قد انتهى •

■ لنأخذ مثالا آخر • يقول بولس الرسول :

« فان كان بالنعمة ، فليس بعــد بالأعمال ، والا فليست النعمة بعد نعمة » **(رو ١١ : ٦)**

ما أجمل أن نتروى قليلا ، ونتابع ما يقوله الرسول فى نفس الاصحاح ، حيث يستطرد : « ٠٠٠ أنت بالايمان ثبت لا تستكبر بل خف ٠ لأنه ان كان الله لم يشفق على الأغصان الطبيعية ، فلعله لا يشفق عليك أيضـــا ٠ فهوذا لطف الله وصرامته ، أما الصرامة فعلى الذين سقطوا ٠ **وأما اللطف فلك ، ان ثبت فى اللطف ، والا فأنت أيضا ستقطع »** ٠

(رو ١١:١٠ــ٢٢)

ما معنى هــذا الــكلام ؟٠٠ معنــاه أنك نلت خلاصا بدم المسيح ، ولكن يجب أن تثبت فيه ، والا فانك ستفقده اذا لم تعمل أعمـــالا تليق بالتــوبة ٠ لأن الغصن الذى يقطع من الشجرة يهلك ويموت ٠

■ مثال آخر ، يقول بولس الرسول :

« فأين الأفتخار ؟٠٠ قد انتفى ٠ بأى ناموس ، أبناموس الأعمــال ؟٠٠ كلا ، بل بناموس الايمان ٠ اننــا نحسب أن الانسان يتبرر بالايمان دون أعمال الناموس » ٠

(رو ٣:٢٧،٢٨)

ان قرأنا آية مثل هذه ، فلا يصح أن نتسرع ، بل نتابع القراءة لنرى ماذا يقول الرسول بعدها ٠٠ انه يستطرد قائلا

بعد هذه الآية مباشرة : « أفنبطل الناموس بالايمان حاشا ، بل نثبت الناموس » (رو ٣:٣١)

■ مثال آخر ، يقول بولس الرسول :

« ولكن حين ظهر لطف مخلصنا الله واحسانه ، لا بأعمال فى بر عملناها نحن ، بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس ••• » (تى ٣:٤ـ٦)

لاحظوا أن هذه الآية بالذات تتحدث عن الخلاص بالمعمودية وعمل الروح القدس • أما من جهة الأعمال ، فاننا اذا أكملنا ما يقوله الرسول نجده يستطرد مباشرة : « صادقة هى الكلمة ، وأريد أن تقرر هذه الأمور ، لكى يهتم الذين آمنوا بالله أن يمارسوا أعمالا حسنة • فان هذه الأمور هى الحسنة والنافعة للناس » (تى ٣:٨) •

اننى أيها الاخوة الأحباء لست فى هذه المقدمة أناقش موضوع الايمان والأعمال ، فموعده فى هذه المحاضرة لم يأت بعد • انما أريد فقط أن أوجه الاهتمام الى هذه القاعدة وحدها وهى خطورة استخدام الآية الواحدة •

ونحن أنفسنا ، لا نسمح لذواتنا بتاتا أن نستخدم هذه الطريقة الخطرة الضارة •

انا لا نستغل « الآية الواحدة » لصالحنا

فمثلا ان وجدنا يوحنا الرسول يقول :

■ « **ان علمتم أنه بار هو ، فاعلموا أن كل من يصنع البر مولود منه** » **(١ يو ٢ : ٢٩)**

ان قرأنا مثل هـذه الآية ، فلا يمكن أن نقول ان الولادة الجديدة تتوقف على الأعمال وحدها ، وانما مع هذه الآية نذكر الايمان والمعمودية وأسرار الكنيسة التى لـم تتضمنها الآية مطلقا من حيث اللفظ .

وبالمثل أيضا اذا قرأنا ليوحنا الرسول قوله :

■ « **نحن نعلم أننا قد انتقلنا من الموت الى الحيـاة ، لأننا نحب الاخوة** » **(١ يو ٣ : ١٤)**

فلا يمكن أن نتخذ هذه الآية دليـلا على أن المحبة وحدها كافية لتخليص الانسان ، ونقله من الموت الى الحياة !!

وكذلك بنفس الأسلوب لا يمكن أن نستغل الآية التى تقول :

■ « **الله محبة . ومن يثبت فى المحبـة يثبت فى الله والله فيه** » **(١ يو ٤ : ١٦)**

وبنفس الأسلوب لا يمـكن أن نستغل أية آية من الآيات

التي تتحدث عن الأعمال وأهميتها • مثل قول السيد المسيح للشاب الغنى :

■ **« ان أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا »**
(مت ١٩:١٧)

هل مجرد حفظ الوصايا وحده يكفي ، بدون ايمان وبدون معمودية ؟! كلا ، بلا شك • أما الآية فتفهم بمعنى آخر يتفق مع الملابسات التي أحاطت بها •

وهكذا أيها الأحبـــاء ، علينـــا أن نتذكر باستمرار – في تعرفنا على الايمان السليم – تلك الآية الجميلة التي تقول :

■ **« لا الحرف بل الروح • لأن الحرف يقتل ، ولكن الروح يحيى »** **(٢ كو ٣:٦)**

فلنبحث اذن عن مفهوم الخلاص مقتادين بروح الكتاب ، لا بحرفه • محاولين أن نجمع في صعيد واحد النصوص المتعددة التي تتناول الموضـــوع • لنطرق موضوعنا من جميع نواحيه لا من زاوية واحدة فقط ، ولا في ملابسة معينة فقط •

ونصيحتي لكم أن تبعدوا عن قراءة الكتب الغريبة ، التي تبعدكم عن الايمـــان السليم • ونصيحتي أيضـــا أن تبحثوا الموضوع في تواضع كثير ، لأن الاعتداد بالذات ، في الأمور اللاهوتية ، قاد كثيرين الى الهرطقة •

بعد هـــذه المقـــدمة الوجيزة نتحدث عن الخلاص في المفهوم الأرثوذكسي ووسائطه •

الفصل الأول

لا خلاص إلا بدم المسيح وحده

لا ايمان ولا أعمال بدون هذا الدم . ان الايمان هو ايمان بدم المسيح ، والأعمال هي أعمال مؤسسة على استحقاقات دم المسيح . وكما يقول الرسول بولس : « بدون سفك دم لا تحدث مغفرة (عب ٩:٢٢)

فما هو اذن مركز دم المسيح في قضية الخلاص ؟ وما هو مركز الايمان ؟.. وما هو مركز الأعمال ؟..

الأعمال بدون دم المسيح ..

لا يوجد خلاص الا بدم المسيح . جميع الأعمال الصالحة مهما سمت ، مهما علت ، مهما كملت ، لا يمكن أن تخلص الانسان بدون دم المسيح . **لذلك فان الأبرار الذين أرضوا الرب بأعمالهم الصالحة في العهد القديم ، انتظروا هم أيضا في الجحيم الى أن أخرجهم منه السيد المسيح بعد صلبه .**

ان الأعمال الصالحة وحدها لا يمكن أن تخلص الانسان بدون الايمان بدم المسيح • والا كان الوثنيون ذوو الأعمال الصالحة يخلصون بأعمالهم !! حاشا •

وكقاعدة عامة أقولها لــكم :

جميع الآيات التي وردت في الكتاب المقدس تهاجم الأعمال، هي عن الأعمــال وحدها بدون دم المسيح ، أو عن أعمـــال الناموس (الخاصة بشريعة العهد القديم) •

لأنه بدون دم المسيح لا يمكن للأعمال أن تفيد شيئا ••

لذلك عندما يقول الرسول : « لا بأعمال فى بر عملناها » (تى ٣ : ٥) ، أو عندما يقول : « ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد » (أف ٢:٩) ، انما يقصد الأعمـــال وحدها بدون دم المسيح • **وهكذا ان وجد انسان يعمل أعمــالا صالحة ، وهو غير مؤمن ، فان بر الناموس هذا لا يفيــده شيئا ، وأعماله الصالحة وحدها لا تخلصه بدون الأيمان •**

مثل هذا الشخص غير المؤمن ، تقول له : ان أعمالك كلها لا تكفى • آمن بالرب يسوع فتخلص •

هناك فرق جوهرى أساسى بين الكلام الذى يقال للمؤمن ، والكلام الذى يقــال لغير المؤمن • **فى حديثك مع غير المؤمن ، يجب أن تحطم جميع الأعمال • كلها بدون دم المسيح لا تفيد**

شيئا ٠ مثل هذا تقول له : ان أعمالك لا تخلصك ٠٠٠ الذى يخلصك هو دم المسيح ٠ ان دم المسيح هو نقطة البـــدء فى موضوع الخلاص ٠

ولكن بعد أن يؤمن ، ينبغى أن تحدثه عن الأعمال الصالحة التى تليق بايمانه ، لأن الايمان بدون أعمال ميت ٠

(يع ٢ : ٢٠)

لماذا لا يكون الخلاص الا بدم المسيح ؟٠٠

١ ــ الخطية هى عصيان لله ، وتعـــد على حقوقه ، وعدم محبة له ٠٠٠ والله غير محدود ، اذن فالخطية غير محدودة لأنها موجهة ضد الله غير المحدود ٠ **ومهما عمل الانسان فان أعماله محدودة ٠ لذلك لا تغفر الخطية الا كفارة غـــير محدودة ٠٠** ولا يوجد غير محدود الا الله ٠ لذلك لم يكن هناك حل لمغفرة الخطية سوى أن يتجسد الله ذاته ويموت ٠ ويكون موته كفارة غير محدودة ، توفى عدل الله غير المحدود ، فى الاقتصاص من الخطية غير المحدودة ٠ الموجهة ضد الله غير المحدود ٠

٢ ــ هــذا الكلام ينطبق على خطيئة آدم كما ينطبق عــلى خطية أى انسان ، لأن الخطية هى الخطية ، وعدل الله هو هو ، وعقاب الخطية الذى هو الموت هو هو ، كما فى العهد القديم كذلك فى العهد الجديد ومعروف أن « الجميع أخطأوا وزاغوا

وأعوزهم مجد الله . ليس من يعمل صلاحا ليس ولا واحد » (رو ٣ :٢٣،١٢) . وهكذا وقع حكم الموت على الجميع . واستد كل فم وصار العالم كله تحت قصاص من الله (رو ٣ :١٩) . ولم تعد هناك وسيلة للخلاص غير نعمة الله تفتقدنا ، وقد افتقدتنا فعلا وخلصتنا بدم المسيح الذى به وحده الخلاص .

٣ ـ **من أجل هذا قال معلمنا بولس الرسول : « متبررين مجانا بنعمته بالفداء الذى بيسوع المسيح** ، الذى قدمه الله كفارة بالايمان بدمه لاظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السابقة » (رو ٣ :٢٥) . وقال أيضا : « الذى خلصنا ودعانا دعوة مقدسة ، لا بمقتضى أعمالنا ، بل بمقتضى القصد والنعمة التى أعطيت لنا » (٢ تى ١ :٩) . وقال أيضا : « لا بأعمال فى بر عملناها نحن ، بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس » (تى ٣ :٤،٥) . وقال أيضا : « لأنكم بالنعمة مخلصون ، بالايمان . وذلك ليس منكم ، هو عطية الله . ليس من أعمال كى لا يفتخر أحد » (أف٢ :٨) وقال أيضا : « فان كان بالنعمة ، فليس بعد بالأعمال ، والا فليست النعمة بعد نعمة » (رو ١١ :٦) .

اننا نورد هذه الآيات التى يستخدمها البروتستانت ، ولا نخبئها ، لأننا لا ننكر نعمة الله علينا ، ولا ننكر خلاص الله المجانى الذى أعطاه لنا ، ولا ننكر أننا كنا كلنا « أمواتا

بالذنوب والخطايا » (أف٢:١) ، ولولا دمه الأقدس لهلكنا جميعا •

ولكننا نضع هـذه الآيات فى موضعها الحقيقى • ونعترف أننا خلصنا بدم المسيح •

٤ ـ **ولكننا نقول ان دم المسيح شىء ، واستحقاق دم المسيح شىء آخر • ان دم المسيح كاف لمغفرة خطايا العالم كله ، فهل حظى العالم كله بالغفران ؟!** لقد « أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد » (يو ٣:١٦) فهـل خلص العالم كله بهـذا البذل ، أم خلص فقط (كل من يؤمن به) ؟

اذن فدم المسيح موجـود ، مستعد أن يخلص ، وكاف للخلاص • ولكن للخلاص شروطا يجب أن تستوفى حتى يكون الخاطىء مستحقا لهذا الدم الذى به الخلاص • وهكذا أيضا يقول يوحنا الحبيب فى رسـالته الأولى عن المسـيح انه « كفارة لخطايانا • ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضـا » (١ يو ٢ : ٢) • كفارة المسيح اذن غير محدودة، تكفى لمغفرة جميع الخطايا لجميع الناس فى جميع الأجيال ، فى الماضى وفى الحاضر وفى المستقبل •

ولكن مع وجود دم المسيح هناك أشخاص هلكوا ، وأشخاص يهلكون ، وأشخاص سيهلكون ! ذلـك لأن استحقاقات دم المسيح لها شروط معينة •

شروط الخلاص بدم المسيح

أريد من جهة هـذه الشروط أن أضع أمامكم أربعـة أمور جوهرية جدا وهى :

١ ـ الايمان **٢ ـ المعمودية**

٣ ـ الأسرار الكنسية اللازمة للخلاص

٤ ـ الأعمال الصالحة

الايمان

١ ـ شرط الايمان :

الايمان شرط أساسى لاستحقاق دم المسيح ٠ وهكذا قال السيد المسيح عن نفسه : « ٠٠٠ لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية » (يو ٣:١٦)

وتظهر أهمية هذا الشرط لاستحقاق دم المسيح ، من قول الكتاب فى نفس الاصحاح من فم السـيد المسـيح نفسه : « **الذى يؤمن به لا يدان ٠ والذى لا يؤمن قد دين** ، لأنه لـم يؤمن باسم ابن الله الوحيد » (يو ٣:١٨)

ويظهر هذا الشرط أيضا من قول يوحنا الرسول فى خاتمة انجيله : « ... وأما هــذه فقد كتبت لتؤمنوا أن يســوع هو المسيح ابن الله ، **ولكى تكون لكم اذا آمنتم حياة باسمه** » (يو ٢٠:٣١) . هناك شرط اذن وهو أن الخلاص يكون لكم اذا آمنتم .

وبهذا وعظ بولس الرسول فى أنطاكية قائلا : « ... انه بهذا ينــادى لـكم بغفران الخطايا . وبهــذا يتبرر كل من يؤمن ... » (أع ١٣:٣٨،٣٩) .

وقد وضح ربنا يسوع المسيح أنه بدون شرط الايمان هذا لا يمكن أن يكون خلاص بقوله لليهــود : « **ان لم تؤمنوا انى أنا هو ، تموتون فى خطاياكم** » (يو ٨:٢٤)

ما أخطر هذه العبارة « تموتون فى خطاياكم » ! دم المسيح موجود ، قادر أن يخلص . ولكنه لا يمكن أن يخلصك بدونك.

يجب أن تقدم شرط الايمان ، لكى تخلص بدم المســيح . انه الشرط الأول ، ولكنه ليس الشرط الوحيد . انه الخطوة التى تؤهلك للمعمودية .

شرط الايمان هذا ورد فى قول بولس وسيلا لحافظ السجن « آمن بالرب يسوع فتخلص أنت وأهل بيتك » (أع ١٦:٣١)

٢ ـ ما هو الايمان ؟٠٠

ان كلمة الايمان كلمة واسعة جدا جدا ، تدخل فيها أمور كثيرة ٠ وان كان بولس الرسول قد قال اننا « قد تبررنا بالايمان » (رو ٥ : ١١) ، فماذا يقصد بهذا الايمان الذى قد تبررنا به ؟

لذلك يضع بولس الرسول أمامنا سؤالا خطيرا جدا فى موضوع الايمان ٠ اذ يقول : « **جربوا أنفسكم ، هل أنتم فى الايمان ؟٠٠ امتحنوا أنفسكم** » (٢ كو ١٣:٥) اذن لابد أن نختبر أنفسنا ونرى هل نحن حقا فى الايمان أم لا ٠ ما هو هذا الايمان ؟٠٠

ايمان حى ٠٠٠

ان الايمان اللازم للخلاص لابد أن يكون ايمانا حيا ٠ وهذا الأمر وضحه على أكمل وجه معلمنا يعقوب الرسول اذ قال : « ان الايمان بدون أعمال ميت » (يع ٢ : ٢٠) ٠ وكرر هذا المعنى قائلا : « لأنه **كما أن الجسد بدون روح ميت ، هكذا الايمان أيضا بدون أعمال ميت** » (يع ٢ : ٢٦) ٠

ومثل هذا الايمان الميت ، أى الخالى من الأعمال ، لا يقدر أن يخلص أحدا ٠ وهكذا يقول معلمنا يعقوب الرسول : « ما المنفعة يا اخوتى ان قال أحد ان له ايمانا ولكن ليس له أعمال ؟! **هل يقدر الايمان أن يخلصه ؟!** » (يع ٢:١٤) .

حقا ان الرسول قد قال اننا قد تبررنا بالايمان • ولـكن هـذا الايمان له صفتان هامتان • ايمان حي وايمان عامل • وفي هاتين الصفتين كلتيهما نرى الأعمال الصالحة •

ولا نظن أن أحدا من البروتستانت ـ مهما أنكر الأعمال ـ يستطيع في أمر الخلاص أن يعلم بالأيمان غير العامل • فالرسول يقول : « ان الشياطين يؤمنون ويقشعرون » • (يع ٢:١٩)

فهـل تقصـد بالايمان أيها الأخ ايمانا من نوع ايمان الشياطين الذين ليست لهم أعمال صالحة ، وانما هم يؤمنون ، ويقشعرون من هول شرورهم وفسادهم ؟!! •••

ان عبارة الايمـان الحي العـامل قد تتسع في مداها حتى تشمل الحيـاة الروحية كلهـا • كيف يمكن أن تشمل الحياة الروحية كلها ؟•• أميلوا آذانكم أيها الاخوة الأحباء الى قول الرسول •

الايمان العامل بالمحبة ••

قال بولس الرسول : « لأنه في المسيح يسوع لا الختـان ينفع شيئا ولا الغرلة بل الايمان العامل بالمحبة » (غل ٥ : ٦) فماذا تعني صفة « العامل بالمحبة » ما هي هذه المحبة ، وكيف تكون ؟••

ان هـــذه المحبة شرحها بولس الرســول ، مستدلا عليها بجمهرة من الأعمال الصالحة ، اذ قال : « المحبة تتأنى وترفق. المحبة لا تحســـد • المحبــة لا تتفاخر ولا تنتفخ ، ولا تقبح ولا تطلب ما لنفسها ، ولا تحتد ، ولا تظن السوء ، ولا تفرح بالاثم بل تفرح بالحق ، وتحتمل كل شيء ، وتصدق كل شيء ، وترجو كل شيء ، وتصبر على كل شيء » (١ كو ١٣ : ٤ـ٧) •

فاذا كان الايمان هو هــذا الايمان العامل بالمحبة ، فانه سيشمل ولا شك هذه الصفات كلها ، وكلها أعمــال • هنا تبدو المسيحية فى جوهرها ، أنها ليست مجرد آية ، وانما هى روح وحياة (يو ٦:٦٣) • حقا كما قال الكتاب ان الحرف يقتل ولكن الروح يحيى ••• الحرف يقول لك ان هنـــاك شيئا اسمه الايمان ، وأما الروح فيشرح لك كنه الايمــان وأنه يشمل الأعمال الصالحة كلها •

فهل اخوتنـــا المعارضون يقصدون الايمان بهــذا المعنى الواسع الذى يشمل الحياة الروحية كلهــا ، وهل يقصدون الايمان بالمعنى الكبير الذى أشــار اليه بولس الرســول فى الاصحاح الحادى عشر من الرسالة الى العبرانيين عند حديثه عن رجال الايمان ؟•• أم هم يقصدون مجرد الايمان خلوا من صفاته السابق ذكرها ؟!

ان كان الأمر هكذا فلنتناقش ، لكى ما نرى هــل يقــدر هذا الايمان أن يخلصهم حسبما تعجب يعقوب الرسول •

٣ ـ الايمان والمحبة ...

ان الذين يقولون ان الايمان وحـــده هو الـــذى يبرر الانسان ، ويوقفون الايمان كعنصر قائم بذاته ، بعيـــدا عن الأعمال ، هؤلاء لا أوقفهم أنا ، بل يوقفهم بولس الرسول أمام آية جبارة هى قوله : « **ان كان لى كل الايمان حتى أنقل الجبال وليست لى محبة فلست شيئا** » (١ كو ١٣ : ٢) .. فهل تريدون ايمانا أكثر من هذا ؟..

وأنت أيها الأخ ، مهما ارتفعت فى الايمان ، ما هى أقصى درجة ستصل اليها ؟.. **هـــل ستصل الى كل الايمان الذى ينقل الجبال ؟.. صدقنى ، حتى لو وصلت الى هذه الدرجة أيضا ، وليست لك محبة ، فلست شيئا !** لا يستطيع هذا الايمان أن يخلصك أنت .. ! .. ان كان بولس الرسول بكل ايمانه ، ليس شيئا بدون المحبة ، فكم بالأولى أنت .

لهذا فان الرسول وضع المحبة **فى درجة أعظم من الايمان** . اذ قال : « أما الآن فيثبت الايمان والرجاء والمحبة ، هـــذه الثلاثة وأعظمهن المحبة (١ كو ١٣ : ١٣) .

٤ ـ المؤمنون ، والمختارون :

قلنا ان الايمان ينبغى أن يكون ايمانا حيا وايمانا عاملا بالمحبة ولكن البعض يبالغ أحيانا فى تعريف كلمة المؤمنين ، حتى ترادف كلمة « المختارين » .

وهكذا ينادى أمثال هؤلاء بأن المؤمن لا يمكن أن يهلك، واذا سمعوا أو قرأوا عن مؤمن قد هلك يقولون ان هذا لم يكن مؤمنا حسب مفهومهم الخاص !! لا شك أن المختارين لا يمكن أن يهلكوا • ولكن من قال ان المؤمنين هم المختارون؟

ان الكتاب المقدس أعطانا معانى كثيرة لكلمة الايمان : فذكر مرة : **الشياطين يؤمنون ويقشعرون** (يع ٢ : ١٩) • وقال بولس الرسول فى تعريفه للايمان أنه هو الثقة بما يرجى والايقان بأمور لا ترى (عب ١١ : ١) •

وقد شرح لنا الكتاب أن هناك نوعا من **الايمان الميت** • ومع أنه ميت الا أن الرسول سماه ايمانا • كما أعطانا مثلا عن الايمان الخالى من الأعمال الذى لا يقدر أن يخلص أحدا (يع ٢ : ٢٠ ، ١٤) • ومع أنه لا يقدر أن يخلص أحدا ، الا أن الرسول سماه ايمانا •

وقد ذكر الكتاب ان الجميع زاغوا وفسدوا وأعوزهم مجد الله (رو ٣ : ١٢) ، فهل الجميع لم يكونوا مؤمنين ، وقد خلت الأرض من الايمان ؟! أم أن الله أطلق لقب الايمان حتى على الذين يخطئون وهم مؤمنون •

ان أمثال هؤلاء الخطاة لم يحرمهم الرب من لقب المؤمنين• فقد قال الرب على لسان أرميا النبى « شعبى عمل شرين : تركونى أنا ينبوع المياه الحية ، لينقروا لأنفسهم آبارا ، آبارا

مشققة لا تضبط ماءا ••• شعبى قد نسيني أياما بلا عدد » (أر ٢ : ١٣ ، ٢٢) • ومع كل هذا سماهم شعبه • كما قال على لسان اشعياء النبى : « ربيت بنين ونشأتهم أما هم فعصوا على » (أش ١ : ٢) • فعلى الرغم من عصيانهم سماهم بنين • ويذكرنا هذا بما قاله عن الابن الضال « ابنى هذا كان ميتا فعاش وكان ضالا فوجد » (لو ١٥ : ٢٤) • **فعلى الرغم من ضلاله وموته الروحى سماه ابنا •**

وفى قول الرسول « وان كان لى كل الايمان حتى أنقل الجبال وليست لى محبة فلست شيئا » (١ كو ١٣ : ٢) ، دليل آخر على اطلاق حالة الايمان على الانسان الخالى من المحبة الذى هو ليس شيئا •

بل ان الرب أطلق لقب المؤمنين على الذين يشبهون البذار التى سقطت على الصخر ولما نبتت جفت • فقال : « والذين على الصخر هم الذين متى سمعوا يقبلون الكلمة بفرح • وهؤلاء ليس لهم أصل، **فيؤمنون الى حين ، وفى وقت التجربة يرتدون** » (لو ٨ : ٦ ، ١٣) •

وطبعا هؤلاء المرتدون لا يمكن أن نسميهم مختارين مع أن السيد المسيح له المجد لقبهم بأنهم كانوا مؤمنين الى حين• ويشبه هؤلاء طبعا الذين قال عنهم الرسول : « ولكن الروح يقول صريحا انه فى الأزمنة الأخيرة **يرتد قوم عن الايمان تابعين أرواحا مضلة وتعاليم شياطين** » (**١ تى ٤ : ١**) •

وطبعا هؤلاء لا يمكن أن نسميهم مختارين مع أنهم عاشوا فى الايمان قبل أن يرتدوا •

لعله قد وضح الآن كثيرا بأن هناك فرقا كبيرا بين الكلمتين• **ان كل المختارين مؤمنون ولكن ليس كل المؤمنين مختارين ، اذ قد يرتد بعضهم عن الايمان تابعين أروحا مضلة وتعـاليم شياطين •**

على أن هذه النقطة أيها الأحباء لنا رجعة اليها بعد حين، نتركها الآن قليلا لكى نتحدث عن الشرط الثانى للخـلاص والمدخل الأساسى له وهو المعمودية •

المعمودية

أهمية المعمودية للخلاص

تظهرأهمية المعمودية منقول السيد المسيحلنيقوديموس « الحق الحق أقول لك ان كان أحد لا يولد من فوق ، لا يقدر أن يرى ملكوت الله » (يو ٣ : ٣) . وقد شرح معنى هذه الولادة ، فأجاب على سؤال نيقوديموس بقوله « الحق الحق أقول لك : **ان كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله » (يو ٣ : ٥)** .

وهـذه آية صريحـة تعنى أنه بدون المعمودية لا يقـدر الانسان أن يدخل الى الملكوت ، ولا يقدر أن يعاينه • وبهذا يكون الخلاص عن طريق المعمودية التى يمهد لها الايمان •

وهكذا قال السيد المسيح فى صراحة ووضوح « **من آمن واعتمد خلص** » (مر ١٦ : ١٦) • وهكذا أيضا عندما أرسل تلاميذه لنشر ملكوته على الأرض قال لهم « **فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم ، وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القـدس ، وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به**»(مت٢٨ : ١٩، ٢٠)• وهذه الآية تدل على أن الخـلاص يلزمه الايمـان الذى يأتى بالتلمذة ، والمعمودية التى هى البـاب المبـاشر ، والأعمال الصالحة بحفظ الوصـايا • فلو كانت المعمودية غـير لازمة للخـلاص ، لكان يكفى أن يقول الرب لتلاميـذه : « اذهبوا وبشروا بالايمان » دون ذكر للمعمودية •••

ومعلمنا بولس الرسول يشرح كيف أن الخـلاص يكون بالمعمودية ، وكيف أنها هى الميلاد الثانى ، بقوله فى رسالته الى تلميذه تيطس أسقف كريت ، حيث يقول « ولكن حـين ظهر لطف مخلصنا الله واحسانه ، لا بأعمال فى بر عملناها نحن ، بل بمقتضى رحمته **خلصنا بغسل الميلاد الثانى وتجـديد الروح القدس** » (تى ٣ : ٤ ، ٥) •

ممارسة المعمودية منذ البدء

هذا المبدأ الذى أسسه السيد المسيح « من آمن واعتمد خلص » اتبعته الكنيسة منذ البدء ، ففى يوم الخمسين بعد أن وقف بطرس الرسول رافعا صوته بكلمة الايمان، ونخس السامعون فى قلوبهم ، « قال لهم بطرس : **توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا ،** فتقبلوا عطية الروح القدس » (أع ٢ : ٣٧ ، ٣٨) . وهذه الآية صريحة فى أنه يكون بالمعمودية مغفرة الخطايا . وكيف يخلص الانسان بدون مغفرة خطاياه ؟! **اذن فالمعمودية لازمة لخلاص الانسان ، فبها تغفر خطاياه . وبها يمهد لقبول الروح القدس .**

وعطية الروح القدس ، ننالها فى السر الثانى من أسرار الكنيسة ، سر المسحة المقدسة ، أو سر الميرون . والآية السابقة تدل على هذه المعانى كلها .

فى يوم الخمسين بعد أن تكلم بطرس عن المعمودية « قبلوا كلامه بفرح ، واعتمدوا ، وانضم فى ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس » . **فلو كان الايمان وحده يخلص الانسان ماذا كانت الحاجة الى أن يعتمد فى يوم واحد ٣٠٠٠ نفس ؟!** ما كان أسهل أن يقول لهم الرسل : « ما دمتم قد آمنتم أيها الاخوة ، فاذهبوا على بركة الله ، هذا يكفى ، لقد خلصتم وانتهى الأمر .. » !!

وهكذا نرى أيضا أن **الخصى الحبشي** بعد أن آمن على يد فيلبس ، قال له مباشرة « ماذا يمنع أن اعتمد ؟ »(أع٨:٣٦) وهكذا نزل به فيلبس الى الماء فعمده ·· وذهب فى طريقه فرحا ·

وسجان فيلبى الذى آمن على يدى بولس وسيلا « اعتمد فى الحال هو والذين له أجمعون » (أع ١٦ : ٣٣) ·

وكرنيليوس أيضا الذى ظهر له ملاك الله ، وقال له صلواتك وصدقاتك صعدت تذكارا أمام الله ، هو أيضا بعد أن كلمه بطرس بكلمة الحياة ، وبعد أن حل الروح القدس على جميع الذين كانوا يسمعون الكلمة « حينئذ أجاب بطرس : أترى يستطيع أحد أن يمنع الماء حتى لا يعتمد هؤلاء الذين قبلوا الروح القدس كما نحن أيضا وأمر أن يعتمدوا باسم الرب » (أع ١٠ : ٤٧ ، ٤٩) ·

وليديا بائعة الأرجوان ، لما آمنت على يد بولس الرسول « اعتمدت هى وأهل بيتها » (أع ١٦ : ١٥) ·

جميلة تلك العبارة التى قالها بولس الرسول عن العماد « **لأن كلكم الذين اعتمدتم للمسيح قد لبستم المسيح** » (غلا ٣ : ٢٧) · اذن فى المعمودية يلبس الانسان المسيح· أى خلاص أعظم من هذا ··

ان المعمودية هى الباب الذى يدخل منه الانسان الى الخلاص ، والايمان تمهيد لها .

نقول هذا لأن كثيرا من البروتستانت يظنون أن الانسان يكفيه ايمانه ليخلصه ٠٠! أو يظنون أن الميلاد الثانى يأتى بالايمان وليس بالمعمودية ! **لا يرون أن المعمودية هى الميلاد الثانى ، على الرغم من صراحة الآية بغسل الميلاد الثانى (تى ٣ : ٥) !!**

وأيضا على الرغم من قول الرسول فى رسالته الى أفسس « أيها الرجال أحبوا نساءكم كما أحب المسيح أيضا الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها ، **لكى يقدسها مطهرا اياها بغسل الماء بالكلمة** ، لكى يحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها » (أف ٥ : ٢٥ ، ٢٦) ٠

« لكى يقدسها مطهرا اياها بغسل الماء بالكلمة » ٠٠ البروتستانت ومن اليهم يدعون أن هذه العبارة معناها يقدسها بالكلمة! تاركين عبارة غسل الماء كأن لا معنى لها٠٠

ان « الكلمة » هنا تعنى التبشير ٠ فماذا تعنى عبارة « غسل الماء » ؟ تعنى المعمودية التى يصل اليها الانسان بالتبشير أى بالكلمة ٠ وهكذا تنطبق وصية السيد المسيح « تلمذوهم ٠٠٠ وعمدوهم ٠٠٠ » ٠ « تلمذوهم » بالكلمة ٠ « وعمدوهم » بغسل الماء ٠

شرح « أهمية المعمودية » لاهوتيا

ما هو جوهر التعليم المسيحى عن المعمودية كوسيلة للخلاص . لماذا هي لازمة للخلاص ؟ ولماذا لا يمكن لأحد أن يخلص بدونها ؟ المسألة واضحة جدا ، نشرحها فيما يلى :

يقول الكتاب « أجرة الخطيئة هى موت » (رو ٦ : ٢٣) اذن لا بد من الموت ، ولا بد أن طريق الخلاص يبدأ بالموت .. ويستمر الخلاص بالموت ... وآخر مرحلة للخلاص تأتى بالموت . يبدأ الخلاص بالموت ، وينتهى بالموت ، ويستمر بالموت ، لأن أجرة الخطيئة هى موت . فما معنى هذا الكلام.

أ ـ بدأ الخلاص بالموت :

بدأ الخلاص بموت المسيح على الصليب ، حيث دفع ثمن الخطيئة ، واشترانا بدمه . وكيف يصل اليك الخلاص ؟ يصل اليك بالموت . وكيف ذلك ؟.. المسيح بموته أعطى الخلاص . **ولكى يكون لك أنت نصيب فى هذا الخلاص ، لابد أن تشترك مع المسيح فى موته :** تموت مع المسيح ، وتقوم معه ، لكى تتمجد معه . ولذلك يقول بولس الرسول « لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه ، متشبها بموته » (فى ٣ : ١٠) .

ان لم تدخل فى هذا الموت ، يلحقك الموت الثانى الذى هو العذاب الأبدى فى بحيرة النار (رؤ ٢٠ : ١٤) .

وكيف تدخل فى هذا الموت ؟ كيف نشترك مع المسيح فى موته ؟ ان ذلك يتم بالمعمودية • ولهذا يقول بولس الرسول « أم تجهلون أننا كل من اعتمد ليسوع المسيح ، **اعتمدنا لموته • فدفنا معه بالمعمودية للموت •• (رو٦:٣،٤)**

وموتنا مع المسيح ، ودفننا معه ، هو الذى يجعلنا نشترك معه فى أمجاد قيامته • ولذلك يقول بولس الرسول « لأنه ان كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته ، نصير أيضا بقيامته ••• فان كنا قد متنا مع المسيح ، نؤمن أننا سنحيا أيضا معه » (رو ٦ : ٥ ، ٨) •

نلخص الموضوع اذن فى الكلمات الآتية :

أجرة الخطيئة هى موت • فلا بد أن يموت الانسان ويدفن ••• ولكن المسيح قد مات عنا • وعلينا أن نشترك معه فى موته ، حتى لا نكون بعيدين عن استحقاقات موت المسيح • لا يجوز أبدا أن نترك المسيح يموت وحده عنا ، دون أن نشترك معه فى موته ، أو على الأقل نتشبه بموته ، ندخل فى « شركة آلامه متشبهين بموته »وهكذا قال الرسول **« متنا معه •• دفنا معه •• قد صرنا متحدين معه بشبه موته •• انساننا العتيق قد صلب معه •• فان كنا قد متنا مع المسيح نؤمن أننا سنحيا أيضا معه » (رو ٦ : ٣ ـ ٨)•**

وهذا الموت شرحه الكتاب أنه يتم بالمعمودية • نغطس فيها تماما كأننا ندفن فى جرن المعمودية ، كما قال بولس: « دفنا معه بالمعمودية للموت » (رو ٦:٤) • ثم نقوم من هذا الماء « فى جدة الحياة » « عالمين هذا أن انساننا العتيق قد صلب معه ليبطل جسد الخطيئة » •

المعمودية اذن لازمة للخلاص ، لأنها شركة فى موت المسيح ، لأنها ايمان بالموت كوسيلة للحياة ، واعتراف بأن أجرة الخطيئة هى موت • ان الذين يقولون ان الخلاص يتم بمجرد الايمان وحده ، بدون معمودية ، لم يفهموا بعد ما هو الايمان • فلنحاون أن نناقش الأمر معا لنفهمه :

ما هو الايمان ؟•• هو أن تؤمن أن الخطيئة أجرتها الموت ، وتؤمن أن المسيح قد مات عنك ، وتؤمن أنك يجب أن تموت معه لتحيا أيضا معه ••• وهكذا يقودك الايمان الى ما قلناه :

قلنا ان الخلاص قد بدأ بالموت • موت المسيح • هذا هو الخلاص الذى قد دفع ثمنه ، وقلنا اننا بدأنا أن نحصل على هذا الخلاص بالموت ، اذ متنا مع المسيح ودفنا معه بالمعمودية • هذا هو الخلاص الذى نلناه •

نقول أيضا ان هذا الخلاص يستمر بالموت •

ب - يستمر الخلاص بالموت :

وهكذا يقول بولس الرسول : « كذلك أنتم أيضا ، احسبوا أنفسكم **أمواتا عن الخطيئة** ، ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع ... اذن لا تملكن الخطيئة فى **جسدكم المائت** لكى تطيعوها فى شهواته » (رو ٦:١١،١٢)

هذا الكلام جميل جدا ، يشرح لنا الايمان الأرثوذكسى تماما . « لا تملكن الخطيئة فى جسدكم المائت » . لقد دخلنا الخلاص بالموت . ولابد أن يستمر جسدنا جسدا مائتا عن الشهوات العالمية . **وطالما هو مائت ، فان الخلاص يسرى فيه . أما ان بدأت شهوات الجسد تقوم من هذا الموت وتتحرك ، فاننا نكون حينئذ عرضة لأن نفقد الخلاص ، لأن الخلاص لا يتم الا بالموت .**

لذلك فاننا نصلى الى الله فى قطع الساعة التاسعة ونقول: « أمت حواسنا الجسمانية أيها المسيح الهنا ونجنا » .

ولعل هذا تنفيذ لقول الكتاب : « ولكن ان كنتم بالروح **تميتون أعمال الجسد** فستحيون (رو ٨:١٣) . ألا يقول بولس الرسول : « اذن **الموت يعمل فينا** » .
(٢ كو ٤:١٢)

وهكذا يقول بولس الرسول أيضا : « لأننا نحن الأحياء نسلم دائما للموت من أجل يسوع ، لكى تظهر حياة يسوع

أيضا فى جسدنا المائت » (٢ كو ٤ :١١) • ويقول أيضا : « ان كان المسيح فيكم ، **فالجسد ميت** بسبب الخطيئة ، وأما الروح فحياة بسبب البر » (رو ٨ :١٠) كما يقول أيضا : « اننا **من أجلك نمات كل النهار** • قد حسبنا مثل غنم للذبح » (رو ٨ : ٣٦) • وهكذا نعيش « حاملين فى الجسد كل حين **اماتة الرب يسوع** ، لكى تظهر حياة يسوع أيضا فى جسدنا » (٢ كو ٤ :١٠)

اذن طالما نسير فى طريق الخلاص لابد أن يكون الجسد ميتا عن الخطيئة ، لابد أن يعمل الموت فينا • **انسان يقول انه قد خلص ، وهو يحب العالم أو الأشياء التى فى العالم ، هذا بالحقيقة واهم « لأن محبة العالم عداوة لله »** (يع٤:٤) . ان الخلاص يستمر بالموت ، موت أعمال الجسد ، موت شهوات الجسد ، موت عن العالم والمادة وطلباتها المحاربة للروح •

ما معنى « نخلص بحياته » ؟••

هنا تقف أمامنا الآية التى تقول : « لأنه ان كنا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه ، فبالأولى كثيرا ونحن مصالحون نخلص بحياته » (رو ٥ :١٠) ما معنى « نخلص بحياته » ؟••

اما أن يكون معناها اننا نخلص بحياته كشفيع ، ككاهن

الى الأبد على طقس ملكى صادق « يقدر أن يخلص أيضا الى التمام الذين يتقدمون به الى الله ، اذ هو حى كل حين ليشفع فيهم » (عب ٧:٢٥) • فنحن نخلص بحياته كشفيع • لأننا باستمرار نخطىء • وان أخطأنا « فلنا شفيع عند الآب ، يسوع المسيح البار » (١ يو ٢:١)

ونلاحظ هنا أن استمرار شفاعة المسيح فينا ، معناه استمرار احتياجنا الى الخلاص فى كل حين ، واستمرار عمل الخلاص فينا •

على أن هناك معنى جميلا آخر لعبارة نخلص بحياته • وهو قول بولس الرسول : « مع المسيح صلبت ، فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فى » (غلا ٢:٢٠) • يقول : « مع المسيح صلبت » ، هذا هو الموت ، « صلب الجسد مع الأهواء والشهوات » كما يقول الرسول (غل ٥ : ٢٤) • بهذا نخلص ، عندما يكون المسيح هو الذى يحيا فينا • **وعبارة « أحيا لا أنا » معناها تسليم الارادة تسليما كاملا للرب •** بحيث يقول الانسان باستمرار : « لتكن لا ارادتى بل ارادتك » • يكون كأنه ميت ، غير موجود ، يحيا لا هو ، بل المسيح هو الذى يحيا فيه •

يقول للمسيح : « اننى أخلص بموتك ، وأخلص بحياتك فى » • وهذه هي الفكرة السليمة عن الخلاص فى

المفهوم الأرثوذكسى : **نحن قد خلصنا بموت المسيح عندما متنا معه فى المعمودية • ونخلص أيضا بحياة المسيح فينا ، بتسليمنا الكامل لمشيئته فى حياتنا** ، قائلين مع الرسول : « أحيا لا أنا بل المسيح يحيا فى » •

ج - يتم الخلاص بالموت :

قلنا ان الخلاص يبدأ بالموت فى المعمودية ، ويستمر بالموت عن شهوات العالم • فالى متى ؟•• يقول الكتاب : « كن أمينا الى الموت فسأعطيك اكليل الحياة » (رؤ ٢:١٠) • **وهكذا يستمر الموت يعمل فيك ، حتى يموت الجسد فعلا • طالما أنت تميت أعمال الجسد ، فأنت ما تزال سائرا فى طريق الخلاص • ومتى تصل الى نهاية الطريق ؟•• تصل اليها عندما تموت ، وتنتقل الى العالم الآخر •**

أنت اذن ما تزال سائرا فى الطريق • فهل تقف فى نصفه وتصيح قائلا : « قد خلصت » ؟! تواضع يا أخى ، واستمع الى قول الرسول : « انظروا الى نهاية سيرتهم » (عب ١٣:٧) • لا تفتخر باطلا ، فكثيرون قد بدأوا بالروح وكملوا بالجسد (غل ٣ : ٣) •

على أننا سنعرض لهذا الموضوع بالتفصيل ان شاء الله عندما نتكلم عن اتمام الخلاص •

الأسرار اللازمة للخلاص

هناك أسرار قد لا تلزمك شخصيا لخلاصك . فأنت قد لا تتزوج ، وان كنت ثمرة لزواج . وقد لا تصاب بمرض تحتاج فيه الى سر مسحة المرضى . وقد لا تصير كاهنا ، وان كنت تحتاج لسر الكهنوت ليقدم لك عمل الروح القدس في الأسرار اللازمة لك شخصيا لخلاصك . فأنت يلزمك بلا شك سر المعمودية ، وقد تحدثنا عنه ـ كذلك يلزمك سر مسحة الروح القدس (الميرون) ، وسر التوبة ، وسر الأفخارستيا (التناول) .

وسنتكلم الآن عن أهمية كل من هذه الأسرار على حدة :

سر المسحة المقدسة

لما دعا بطرس اليهود للمعمودية ، قال لهم : « توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا ، فتقبلوا عطية الروح القدس » (أع ٢:٣٨) . فما هي عطية الروح القدس هذه ؟.. وهل هي لازمة في حياتنا للخلاص وما أهميتها وهل يمكن أن نخلص بدونها ؟

لا يمكن اطلاقا أن نخلص بدونها ، لأن حياتنا الروحية كلها هي عبارة عن استجابة ارادتنا لعمل الروح القدس فينا . وان كنا لا نأخذ عطية الروح القدس ، فباطلة وهالكة هي

كل حياتنا . عن هذه النعمة التى أخذناها من سر المسحة المقدسة نصرخ باستمرار ونقول : « روحك القدوس لا تنزعه منا » ، والا هلكنا .

ان حياتك الروحية لا تعتمد مطلقا على ذراعك البشرى ، وانما هى شركة مع الروح القدس كما سنشرح فى الفصل الخاص بالجهاد والنعمة .

لابد اذن من سر المسحة المقدسة ، تلك التى تكلم عنها يوحنا الرسول فقال : « وأما أنتم فلكم مسحة من القدوس وتعلمون كل شىء » « **وأما أنتم فالمسحة التى أخذتموها منه ثابتة فيكم** ، ولا حاجة بكم الى أن يعلمكم أحد ، بل كما تعلمكم هذه المسحة عينها عن كل شىء ، وهى حق » .
(١ يو ٢ : ٢٠، ٢٧)

لكى تعرف أهمية الروح القدس لخلاصك ، نسأل سؤالا وهو : هل تستطيع أن تحيا حياة روحية بدون عمل الروح القدس فيك ؟ .. هل تستطيع أن تسير فى طريق الخلاص بدون عمل الروح القدس معك ؟ .. لا يمكن . اذن لابد من المسحة .

لذلك اهتم الرسل بعطية الروح القدس للمؤمنين ، وكانوا ينالونها فى بادىء الأمر بوضع أيدى الرسل ، قبل أن يستخدم الميرون .

نرى ذلك واضحا فى قصة ايمان السامرة ، حيث اعتبرت مكملة للايمان والعماد . يقول الكتاب : « ولما سمع الرسل

الذين فى أورشليم أن السامرة قبلت كلمــة الله ، أرسلوا اليهم بطرس ويوحنا ، اللذين لمــا نزلا صليــا لأجلهم لكى يقبلوا الروح القدس ، لأنه لم يكن قد حل بعد على أحــــد منهم ، غير أنهم كانوا معتمدين باسم الرب يسوع • حينئذ وضعا الأيادى عليهم ، فقبلوا الروح القدس» (أع ٨:١٤-١٧)

•• اذن لم تكن المعمودية كافية لأهل السامرة ، بل كان لابد لهم أن يقبلوا الروح القدس •

نفس الكلام أيضا يمكن أن يقال عن ايمان أهل أفسس •

لما ذهب بولس هناك وجد تلاميذ • فقال لهم : « هل قبلتم الروح القدس لمــا آمنتم ؟•• قالوا له ولا سمعنا أنه يوجد الروح القــــدس » (أع ١٩:٢،٣) اذ كانوا قد اعتمــدوا بمعمودية يوحنا فقط • فلما كلمهم بولس : « اعتمدوا باسم الرب يسوع • ولما وضع بولس يديه عليهم • حل الروح القدس عليهم » •

اننا بالمعمودية نشترك مع المسيح فى موته ، ونـنــــال البنوة • وبالروح القدس نحيا الحيـــاة اللائقة بنا كبنين وكلا الأمرين لازم لخلاصنا •

سر الأفخارستيا "التناول"

لكى ندرك أهمية التناول من جســـد الرب ودمه ، يكفى من باب الاختصار أن نذكر قول المسيح : « الحق الحق أقول

لكم ! **ان لم تأكلوا جسد ابن الانسان وتشربوا دمه ، فليس لكم حياة فيكم** • من يأكل جسدي ويشرب دمي ، فله حياة أبدية وأنا أقيمه فى اليوم الأخير ••• من يأكل جسدى ويشرب دمى يثبت فى وأنا فيه » (يو ٦:٥٣ـ٥٨) • هنا نرى الحياة الأبدية متعلقة بالتناول من جسد الرب ، بحيث أن الذى لا يتناول لا تكون له حياة ، أى يهلك ••• أتسأل بعد هذا عن لزوم التناول للخلاص ؟!

ان كنا أرثوذكس ونؤمن بالايمان الأرثوذكسى ، فنحن اذن نؤمن بما نقوله فى القداس الالهى عن جسد الرب الذى نتناوله : « **يعطى عنا خلاصا ، وغفرانا للخطايا ، وحياة أبدية لكل من يتناول منه** » • أيسأل أحد ويقول : « هل ممكن الخلاص بدون تناول ؟ » أقول كلا ، لا يمكن • لأن جسد الرب يعطى عنا خلاصا وغفرانا للخطايا وحياة أبدية لكل من يتناول منه •

فكيف نشرح هذا من الناحية اللاهوتية ؟••

ان المعمودية قد خلصتك من الخطيئة الأصلية ، وهذا هو الخلاص الأول الذى نلته • والمعمودية قد صيرتك ابنا لله وجعلتك مستحقا لنوال استحقاقات الدم • ولكنك فى كل يوم تخطىء ، وتحتاج أن تمحى خطيئتك بالدم « ان قلنا انه ليس لنا خطيئة ، نضل أنفسنا وليس الحق فينا » (١ يو ١:٨)

أنت اذن فى كل يوم تخطىء ، وتحتـــاج الى جسد المسـيح المذبوح عنك • تحتاج الى الذبيحة المقدسة كفارة لخطاياك • وما الذبيحة المقدسة فى سر الافخارستيا سوى امتداد لذبيحة المسيح • لذلك لا يمكن أن تخلص من خطاياك بدونها ، هذه التى تعطى عنا خلاصا وغفرانا للخطايا • كما أن بها نثبت فى الرب كما قال •

قد يأتيك انســـان ويقول لك : أتريد أن تخلص ؟•• اطرح نفســـك تحت قدمى المســـيح ، وقل لـه : اقبلنى يا يسوع !! هـذا الكلام يا اخوتى يحتـاج الى اجراءات تنفيـذية ••• **أتريد أن يقبلك المسيح ؟•• هنـــاك طريق للخلاص يقبلك به :** تموت مع المسيح وتدفن معه بالمعمودية فيقبلك • تمسح بالروح القدس فيقبلك • تأكل جســده وتشرب دمه لكى تثبت فيه وبهذا يقبلك • تعترف بخطاياك فيقبلك ••• **هذا هو الطريق العملى الذى يقبلك به الرب • اما أن تطلب منـه قبولك دون أن تســـير فى طريقه الذى رسمه ، فهذا كلام غير لائق •**

وبالمثل نقول عن عبارة « سلم حياتك ليسوع » ••• ! ما أسهل أن يلفظ انسان مثل هذا الكلام ، وما أصعب أن ينفذه ••• ! هل تظنون أن تسليم الحياة شىء هين ؟! ان كل جهادنا الروحى يتركز فى هذه العبارة « تسليم الحياة » ! ففيها يسلم الانسان ارادته للرب ، ويسلم قلبه وعواطفه ،

ويسلم عزيمته ، ويسلم فكره ••• أى يعمل أعمـالا تليق بالتوبة •

وان كنا نتكلم عن سر الافخارستيا فلابد أن نسبقه بكلام عن سر التوبة •

سر التوبة

هل تلزم التوبة للخلاص ؟•• نعم ، بل انه بدون التوبة لا يكون لك خلاص ••• لعلك تسأل : كيف هذا ؟•• انني آمنت وتعمدت وتبررت ••• **نعم انك قد تعمدت ، ونجوت من الخطيئة الأصـلية ، ولكن ماذا عن خطاياك الفعلية التى ترتكبها كل يوم ، أين تهرب منها ؟•• وكيف تهرب منها ؟**

هل الايمان والمعمودية يجعلانك لا تخطىء بعدهما أبدا ؟! كلا ، بلا شك • هوذا يوحنا الرسول يقرر بأنه « **ان قلنـا أنه ليس لنـــا خطيئة نضل أنفســنا وليس الحق فينـا** » (**١ يو ١:٨**) ، ذلك لأنه « ليس أحد صالحا الا واحد وهو الله » (مت ١٩:١٧) « لأننا فى أشـــياء كثيرة نعثر جميعنا » (يع ٣:٢) ، وليس أحد بلا خطيئة ولو كانت حيـاته يوما واحداً على الارض كما نصلى فى أوشيه الراقدين ••• فماذا نقول عن هذه الخطايا كلها ؟•• كيف يخلص منها الانسان ؟•• أليس بالتوبة ؟••

لعل أحداً يهمس فى أذنك قائلا : « آمن فقط ... آمن بالرب يســـوع فتخلص أنت وأهل بيتك » ... !! ان هذه الآية أيها الأخ الحبيب قد قلناها فيما مضى قبل المعمودية . **أما عن خطاياك بعــد المعمودية فينصــحك بخصــوصها يوحنا الرسول قائلا : « ان اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل اثم »** (١ يو ١:٩) وعنها يقول الكتاب : « من يكتم خطاياه لا ينجح .. ومن يقر بها ويتركها يرحم » (أم ٢٨ : ١٣) ... من أجل هذا وضعت لنا الكنيسة المقدسة سر التوبة .

فما دام الانســان المؤمن معرضــا للسقوط فى كل وقت ، ومعرضا للهـــلاك بخطيئته على الرغم من ايمانه ، **وما دام الانسان فى حرب دائمة ضد الخطيئة كثيرا ما يزل فيها ويعثر ويســقط كل يوم ، لذلك وضع الله لنا التوبة نتجدد بها ونتطهر ونغتسل من خطيتنا** . والتـــوبة عمل لا ينكر أحد من البروتســتانت أهميته ولزومه ويدخل فى التوبــة الندم والنوح والاعتراف والعزيمة على ترك الخطيئة ، وكلها أعمال .

لا أقول أنه بالتوبة وحدها يخلص الانسان ، فالتوبة بدون دم المســيح لا فائدة منهــا . ولكنى أقول ان التوبة تجعل الانسان مستحقا لأن يغتسل ويتطهر بدم المسيح فيخلص .
دم المسيح مثـــل كنز عظيم ، ولكننا نقترب اليه بالتوبة ، ونأخذ منه فنغتنى . أما اذا لم نستعمل التوبة ، فان الكنز

يبقى كنزا محتفظا بقيمته ، ونبقى نحن بعيدين عنه ، فقراء نهلك جوعا • حنان الآب موجود ، والثوب الجديد موجود ، والعجل المسمن موجود ، ولكن على الابن الضال أن يقترب الى الآب بالتوبة ليحظى بكل هذه ••• فلنعترف اذن بأن : « الله أعطى الأمم التوبة للحياة » (أع ١١ : ١٨) •

ان أهمية التوبة يوضحها قول السيد المسيح له المجد : « ان لم تتوبوا ، فجميعكم كذلك تهلكون » (لو ١٣:٣) • فهذه الآية تدل على أن التوبة وسيلة للخلاص تنجي من الهلاك ، وتدل أيضا على أنه بدون التوبة يهلك الانسان الخاطىء • « فالله الآن يأمر جميع الناس فى كل مكان أن يتوبوا متغاضيا عن أزمنة الجهل » (أع ١٧ : ٣٠) • وليس أن يتوبوا فقط ، وانما يتبع ذلك أيضا أن يعملوا « أعمالا تليق بالتوبة » • (أع ٢٦:٢٠)

هذه التوبة ينادى بها الرسل القديسون كوسيلة للخلاص من الهلاك المعد للخطاة • فبطرس الرسول يقول عن الله انه « يتأنى علينا ، وهو لا يشاء أن يهلك أناس ، بل أن يقبل الجميع الى التوبة » (٢ بط ٣:٩) • فهنا مقابلة بين التوبة والهلاك ، تعنى أن من يقبل الى التوبة يخلص وينجو من الهلاك ، والعكس بالعكس •••

وبولس الرسول يشرح الغضب المعد لغير التائبين الذين يتعرضون لدينونة الله العادلة ، فيقول : « أم تستهين بغنى

لطفه وامهاله وطول أناته ، غير عالم أن لطف الله انما يقتادك الى التوبة • **ولكنه من أجل قساوتك وقلبك غير التائب تذخر لنفسـك غضبا ليوم الغضب** واستعلان دينونة الله العادلة الذى سيجازى كل واحد حسب أعماله » (رو ٢ : ٤ـ٦) •

هذه التوبة لم يطلبها الله من الأمم فقط ومن غير المؤمنين ، **وانما طلبها أيضا فى سفر الرؤيا من ملائكة كنائس آسيا** • فقــال لملاك كنيسة أفسس « فاذكر من أين سقطت وتب ، واعمل الأعمال الأولى • والا فانى آتيك عن قريب وأزحزح منــارتك من مكانها ان لم تتب » (رؤ ٢ : ٥) • كمــا طلب التوبة أيضا من ملاك كنيسة برغامس (رؤ ٢ : ١٦) • وقال لملاك كنيسة ساردس : « فاذكر كيف أخذت وسمعت واحفظ وتب • فانى ان لم تسهر أقدم عليك كلص ، ولا تعــلم أية ساعة أقدم عليك » (رؤ ٣ : ٣) • وقال أيضــا لملاك كنيسة لاودكيا : « كن غيورا وتب » (رؤ ٣ : ١٩) •

لا تظن يا أخى أن خطية آدم وحده هى التى كانت تستحق الموت ، وانما عموما أجرة الخطيئة هى موت • وكل خطية ترتكبها بعــد معموديتك يمكن أن تــكون سببا فى هلاكك ، ان لم تتب •

وسر التوبة فى الكنيسة يسمى أيضــا سر الاعتراف • فأنت تحتاج أن تأتى وتقر بخطاياك لكى تأخذ عنها حلا من الـكاهن فتغفر لك • وقد مارست الكنيسة المقدســة سر

الاعتراف منذ البدء • ففى أيام الرسل يقول الكتاب : « كان كثيرون من الذين آمنـــوا يأتون مقرين ومخبرين بأفعالهم » (أع ١٩:١٨) • وحتى قبل الرسل يقول الكتاب عن يوحنا المعمدان : « واعتمدوا منه فى الأردن معترفين بخطاياهم » •
(مت ٣:٦)

فى طريق خلاصك اذن ، ليتك تستفيد من قول الســيد المسيح لتلاميذه : « ••• اقبلوا الروح القدس • من غفرتم خطاياه تغفر له ، ومن أمسكتم خطاياه أمسكت » •
(يو٢٠:٢٢،٢٣)

الأعمال الصالحة

تكلمنا الآن عن الخلاص بدم المسيح ، وكيف أن استحقاق دم المسيح يلزم له الايمان والمعمودية ، وسر المسحة المقدسة ، وسر التوبة ، وسر الافخارستيا • وبقى أن نتحدث عن الأعمال ومركزها فى قضية الخلاص • وقد أفردنا لهذا الموضوع فصلا خاصا لأهميته •



الفصل الثانى

أهمية الأعمال في موضوع الخلاص

مقـــدمة :

أعمال الانسان اما صالحة واما شريرة · فالأعمال الشريرة تهلك الانسان وتفقده خلاصه · أما الأعمــال الصــالحة فهى لازمة للخلاص · عـدم وجودها يدل على أن الآيمـان ميت ، وعلى أنه لا ثمرة له · ولكن الأعمال الصالحة وحدها لا تكفى للخلاص بدون ايمــان وبدون معمودية وبــدون استحقاقات دم المسيح ·

هذه الأعمال الصالحة هى ثمر للايمان ، وبرهان على وجود الايمان ، وبهــا نكمل الايمان ، كما سنشرح ذلك بالتفصيل فيما بعد · وقد طلب الله هــذه الأعمال الصالحة وأمر بهــا ، وحدد عقوبات على من يهملها ·

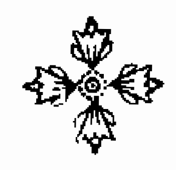
وستكون الدينونة فى اليوم الأخير بحسب الأعمال ·

ان الأعمــال الصالحة لا يتم الخلاص بسببها ، ولكنه لا يتم بدونها · فالخلاص لا يــكون الا بدم المسيح وحــده ، ولــكن الأعمال تؤهل لاستحقاق هذا الدم ·

على أنه يلزمنا أن نوجه الانتباه الى أمر هام جـدا وهو أن **أعمـال الانسـان الصالحة تحتـاج الى مؤازرة من النعمة ٠** فقد قال المسـيح له المجـد : « بدونى لا تقدرون أن تعملوا شيئا » (يو ١٥ : ٥) ٠ فأعمالنا الصالحة هى نتيجة لاشتراك ارادتنا مع عمل الروح القدس فينا ٠

ان نصوص الكتاب المقدس التى تقلل من قيمة الأعمال ، هذه اما أن يـكون المقصود منهـا هو أعمـال الناموس كالختـان والممارسات الطقسية وحفظ الأيام والشهور والأعياد وما الى ذلك ، واما أن يـكون المقصود منها هو مهاجمة الأعمـال غير المبنية على دم المسـيح وفدائه ، كأعمـال غـير المؤمنـين والوثنيين ٠٠ الخ ٠٠ اما اعمـال بدون ايمان ، أو أعمـال سابقة على الايمان ٠

وسنحاول أن نتناول هـذه النقاط جميعا واحدة فواحدة حسبما تعطى نعمة الرب من معونة ٠



الأعمال الشريرة
تؤدي إلى الهلاك

وهـذا أمر طبيعي . لأن الله كما أنه كامل في رحمته ، كذلك هو أيضـا كامل في عدله . وما دامت « أجرة الخطيئة هي موت » (رو ٦ : ٢٣) فلابد أن ينال الخاطيء عقوبة خطيئته . حقيقي أن المسيح قد مات عنا ، ولـكن لا يتمتع باستحقاق موت المسيح سوى التائبين . **والا كان هـذا الخلاص المجاني باباً مفتوحاً للاستهتار والفساد** ، وتصريحا بارتكاب الخطيئة دون خوف من عقوبتها ، اعتمادا على دم المسيح وعلى كفارته التي وفت كل شيء !!!

لذلك يقول بولس الرسول في هـذا المعنى : « فماذا نقول ؟.. أنبقى في الخطيئة لـكي تكثر النعمة ؟! حاشا . **نحن الذين متنا عن الخطيئة ، كيف نعيش بعـد فيهـا ؟! اذن لا تملكن الخطيئة في جسدكم المائت لكي تطيعوها في شهواته » .**
(رو ٦ : ١ـ١٢)

ويتابع بولس الرسول حديثه فيقول : « فماذا اذن .

أنخطيء لأننا لسنا تحت الناموس بل تحت النعمة ؟! حاشا . ألستم تعلمون أن الذى تقدمون ذواتكم له عبيدا للطاعة أنتم عبيد للذى تطيعونه ، اما للخطيئة للموت أو للطاعة للبر » .
(رو ٦ :١٥، ١٦)

وفى هاتين الآيتين بين لنا الرسول أننا لو أطعنا الخطيئة ــ ونحن تحت النعمة ــ فانها تكون طاعة للموت . وما دامت للموت ، فمعناها فقداننا للحياة الأبدية التى لنا فى المسيح يسوع .

ما أهم هذه الآيات ، وخاصة لأنها كلام الوحى على لسان بولس الرسول الذى هو أكبر رسول يعتمد عليه البروتستانت فى موضوع النعمة والتبرير بالايمان ، وأيضا لأنها آيات من الرسالة الى رومية وهى الرسالة الأولى والاساسية التى يعتمدون عليها فى هذا الموضوع . [انظر أيضا غلا ٢ :١٧] .

نصوص من رسائل بولس الرسول :

ما أكثر نصوص الكتاب التى تدل على أن الأعمال الشريرة تؤدى الى الهلاك :

● (غل ٥ :١٩ـ٢١) :

« وأعمال الجسد ظاهرة التى هى زنا ، عهارة ، نجاسة ، دعارة ، عبادة الأوثان ، سحر ، عداوة ، خصام ، غيرة ،

سخط ، تحزب ، شقاق ، بدعة ، حسد ، قتل ، سكر ، بطر ، وأمثال هذه التى أسبق فأقول لكم عنها كما سبقت فقلت **ان الذين يفعلون هذه لا يرثون ملكوت الله** » • اذن فالايمان مع مثل هذه الأعمال الشريرة ـ لا يفيد شيئا ولا يخلص وحده الانسان •••

● (أف ٥:٥،٦) :

« فانكم تعلمون هذا ، ان كل زان أو نجس أو طماع الذى هو عابد للأوثان ، ليس له ميراث فى ملكوت المسيح والله • **لا يغركم أحد بكلام باطل ، لأنه بسبب هذه الأمور يأتى غضب الله على أبناء المعصية** » •

● (١ كو ٦:٩،١٠) :

« أم لستم تعلمون أن الظالمين لا يرثون ملكوت الله • لا تضلوا • لا زناة ، ولا عبدة أوثان ، ولا فاسقون ، ولا مأبونون ، ولا مضاجعوذكور ، ولا سارقون ، ولا طماعون ، ولا سكيرون ، ولا شتامون ، ولا خاطفون ، يرثون ملكوت الله » •

● (عب ١٣:٤) :

« وأما العاهرون والزناة فسيدينهم الله » ••

هذه آيات صريحة يقدم بها بولس الرسول ما يزيد عن عشرين عملا تغلق ملكوت الله أمام المؤمن اذا أخطأ •••

ويتحدث بولس الرسول ـ رسول النعمة والتبرير ـ بعنف شديد في رسالته الى العبرانيين فيقول :

● (عب ١٠:٢٦،٢٧ ، ٢٩ـ٣١) :

« فانه ان أخطأنا باختيارنا بعدما أخـــذنا معرفة الحق ، لا تبقى بعـد ذبيحة عن الخطايا ، بل قبـول دينونة مخيف ، وغيرة نار عتيدة أن تأكل المضادين » ٠

« فكم عقـــابا أشر تظنون أنه يحسب مستحقا من داس ابن الله وحسب دم العهد الذى قدس به دنسا ، وازدرى بروح النعمة ٠ فاننا نعرف الذى قال لى الانتقـام أنا أجازى يقول الرب ، وأيضا الرب يدين شعبه ٠ **مخيف هو الوقوع في يدى الله الحى** » ٠

● ونفس المعنى الموجود فى الآيتين الأوليين يقول فى شـــدة ما يشبهه في موضوع آخر من الرسالة (عب٦:٤ـ٨) :

● (رو ١:٨) :

« لأن غضب الله معلن من السماء على جميع فجور النـــاس واثمهم » ٠٠

● (كو ٣:٥،٦) :

« فأميتوا أعضـــاءكم التى على الأرض : الزنا ، النجاسة ، الهوى ، الشـــهوة الرديئة ، الطمع الذى هو عبادة الأوثان ٠ الأمور التى من أجلها يأتى غضب الله على أبناء المعصية » ٠

● (٢ تس ١: ٨، ٩) :

« ... معطيا نقمة للذين لا يعرفون الله ، والذين لا يطيعون انجيل ربنا يسوع المسيح ، الذين سيعاقبون بهلاك أبدى من وجه الرب » . **نلاحظ هنا أنه جعل الهـلاك الأبدى عقوبة للأمرين معا : ترك الايمان ، وترك الأعمال . فعبارة « الذين لا يعرفون الله » خاصة بعدم الايمان ، وعبارة « الذين لا يطيعون الانجيل » خاصة بترك الأعمال .**

● (رو ٢: ٨-١٠) :

« وأما الذين هم من أهـل التحزب ولا يطـاوعون للحق بل يطاعون للاثم ، فسـخط وغضب . شـدة وضيق على كل نفس انسان يفعل الشر ، اليهودى أولا ثم اليونانى . ومجد وكرامة وسـلام لـكل من يفعل الصـلاح ، اليهـودى أولا ثم اليونانى » . نلاحظ هنا أيضا ليس فقط عقوبة الأعمـال الشريرة ، بل أيضا مكافأة الأعمال الصالحة .

● **تعـليق :**

أوردنا فيما سـبق آيات عن عقوبة الخطيئة ، **وكيف أن المؤمن اذا أخطأ يهلك بخطيئته . وأن الأعمال الشريرة تجعل الذى يخطىء لا يرث ملكوت الله ، ويقع عليـه غضب الله ، ويعتبر من أبنـاء المعصية ، ويتعرض لدينونة مخيفة ، وغيرة نار تأكله ، ويعاقب بهـلاك أبدى من وجه الرب ، وتقع على نفسه شدة وضيق ، ويدينه الله .**

وكل هذا ذكره بولس الرسول ، الذى تحدث باسهاب عن النعمة والتبرير بالايمان • وقد بدأنا وذكرنا هذه الآيات حتى على ضوئها نفهم الآيات الخاصة بالنعمة والايمان التى ذكرها بولس نفسه •**حتى لا يبدو لأحد أن لبولس الرسول تعليما آخر ، وانما هو أيضا علم ـ فى كل رسالة تقريبا ـ بأن الخطايا تغلق ملكوت السموات ••• بل انه علم كذلك بأن الأعمال الشريرة تلغى عمل الايمان** • فقال فى رسالته الى تيطس

● (تى ١٦:١) :

« يعترفون بأنهم يعرفون الله ، ولكنهم بالأعمال ينكرونه ، اذ هم رجسون غير طائعين ومن جهة كل عمل صالح مرفوضون » •

نصوص أخرى من غير رسائل بولس الرسول :

● (٢ بط ٢ : ٤ـ٢٢) :

« لأنه ان كان الله لم يشفق على ملائكة قد أخطأوا ، بل فى سلاسل الظلام طرحهم فى جهنم وسلمهم محروسين للقضاء ، ولم يشفق على العالم القديم ••• يعلم الرب أن ينقذ الأتقياء من التجربة ، ويحفظ الأثمة الى يوم الدين معاقبين • ولا سيما الذين يذهبون وراء الجسد فى شهوة النجاسة ••• **فسيهلكون فى فسادهم ، آخذين أجرة الاثم ••• الذين قد حفظ لهم**

قتام الظلام الى الأبد ... لأنه ان كانوا بعدما هربوا من رجاسات العالم بمعرفة الرب والمخلص يسوع المسيح يرتبكون أيضا فيها فينغلبون ، فقد صارت لهم الأواخر أشر من الأوائل . **لأنه كان خيرا لهم لو لم يعرفوا طريق البر ، من أنهم بعدما عرفوا يرتدون عن الوصية المقدسة المسلمة لهم.** قد أصابهم ما فى المثل الصادق : « كلب قد عاد الى قيئه وخنزيرة مغتسلة الى مراغة الحمأة » . واضح من النصوص الأخيرة أنه يتكلم عن مؤمنين يهلكون .

● (١ بط ٤:١٧،١٨) :

« ... فما هى نهاية الذين لا يطيعون انجيل الله ؟.. وان كان البار بالجهد يخلص ، فالفاجر والخاطئ أين يظهران »

● (أع ٥:٩) :

« فقال لهما بطرس ما بالكما اتفقتما على تجربة روح الرب . هوذا أرجل الذين دفنوا زوجك على الباب وسيحملونك خارجا . فدخل الشباب ووجدوها ميتة ، فحملوها خارجا ودفنوها بجانب رجلها » .

ان هلاك حنانيا وسفيرا دليل على أن العمل الشرير يهلك ، وأن الايمان وحده لا يكفى . فقد كان الاثنان مؤمنين بالمسيح ولكن قلبهما لم يكن مستقيما فهلكا . ويقول الكتاب انه بعد موتهما : « صار خوف عظيم على الكنيسة ، وعلى جميع الذين سمعوا بذلك » .

● (رؤ ٢١ : ٨) :

« وأما الخائفون ، وغير المؤمنين ، والرجسون ، والقاتلون ، والزناة ، والسحرة ، وعبدة الأوثان ، وجميع الكذبة ، فنصيبهم فى البحيرة المتقدة بنار وكبريت الذى هو الموت الثانى » ٠

● (رؤ ١٨ : ٧)

« بقدر ما مجدت نفسها و تنعمت ، بقدر ذلك أعطوها عذابا وحزنا » ٠

● (١ يو ٣ : ١٥) :

« كل من يبغض أخاه فهو قاتل نفس ٠ وأنتم تعلمون أن كل قاتل نفس ليست له حياة أبدية ثابتة فيه » ٠

● (يع ٣ : ١ ، ٢) :

« لاتكونوا معلمين كثيرين يا اخوتى ، عالمين أننا نأخذ دينونة أعظم ، لأننا فى أشياء كثيرة نعثر جميعنا » ٠

● (يع ٥ : ١ ، ٩) :

« هلم الآن أيها الأغنياء ابكوا مولولين على شقاوتكم القادمة ٠٠٠ لا يئن بعضكم على بعض أيها الاخوة لئلا تدانوا ٠ هوذا الديان واقف قدام الباب » ٠

● **تعـــليق :**

رأينا من النصوص السابقة أن خطايا كثيرة تسبب الهلاك، وتلقى فى البحيرة المتقدة بالنار والكبريت ، وتجلب العذاب والحزن ، وتحرم من الحيـــاة الأبدية ، وتلقى الى الشـــقاء ، والى الدينونة ، سواء منها الخطايا التى تبدو خطيرة ، أو الخطايا التى يستهين بها البعض مثل التعليم الكثير ، والغنى الزائد وبخس الأجراء ، وبغضة الأخ ••• الخ ••

وهذا الأمر هو تعليم السيد المسيح نفسه :

● (يو ٥:٢٨،٢٩) :

« فانه تأتى ساعة يسمع جميع الذين فى القبور صوته • فيخرج الذين فعلوا الصالحات الى قيامة الحياة ، والذين عملوا السيئات الى قيامة الدينونة » •

● (مت ١٣:٤٠-٤٢) :

« فكما يجمع الزوان ويحرق بالنار ، هكذا يكون فى انقضاء العالم • يرسل ابن الانســان ملائكته ، فيجمعون من ملكوته جميع المعاثر وفاعلى الاثم ، ويطرحونهم فى أتون النار • هناك يكون البكاء وصرير الأسنان » •

● (مت ٧:١٩،٢٠) :

« كل شجرة لا تصنع ثمرا جيدا تقطع وتلقى فى النار • فاذن من ثمارهم تعرفونهم » •

نلاحظ في كل النصوص السابقة أنه لم يتكلم عن طرح غير المؤمنين في النار أو الدينونة وانما « الذين عملوا السيئات » و « جميع المعاثر وفاعلى الاثم » و « من لا يصنع ثمرا جيدا » .

والنصوص المقبلة تظهر بوضوح أن الايمان وحده لا فائدة منه للخلاص اذا لم يصحب بأعمال صالحة :

● (مت ٧ : ٢١ـ٢٣) :

« ليس كل من يقول لى يا رب يا رب يدخل ملكوت السموات ، بل الذى يفعل ارادة أبى الذى فى السموات . كثيرون سيقولون لى فى ذلك اليوم يا رب يا رب ، أليس باسمك تنبأنا ، وباسمك أخرجنا شياطين ، وباسمك صنعنا قوات ؟ .. فحينئذ أصرح لهم انى لم أعرفكم قط . اذهبوا عنى يا فاعلى الاثم » .

نلاحظ في هذه الآيات أن هؤلاء الهالكين لم يكونوا مؤمنين فحسب ، وانما أيضا أصحاب مواهب ومعجزات .

● (مت ٢٥ : ٤١ـ٤٦) :

« ثم يقول أيضا للذين عن اليسار : اذهبوا عنى يا ملاعين الى النار الأبدية المعدة لابليس وملائكته . لأنى جعت فلم تطعمونى ، عطشت فلم تسقونى ، كنت غريبا فلم تأوونى ، عريانا فلم تكسونى ، مريضا ومحبوسا فلم تزورونى . حينئذ

يجيبونه هم أيضـــا قائلين يا رب متى ... فيمضى هؤلاء الى عذاب أبدى ، والأبرار الى حياة أبدية » .

نلاحظ هنا أن هؤلاء الهالكين ، لم يكونوا قتلة أو فسقة أو عبدة أوثان . وانما مجرد عدم اطعام الجائع ، ومجرد عدم زيارة المريض ، كان سببا فى هلاكهم ...

● (لو ١٣:٣،٥) :

« ان لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون » .

● (مت ٥ : ٢٩ ، ٣٠) :

« فان كانت عينك اليمنى تعثرك ، فاقلعها والقها عنك . لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله فى جهنم ، وان كانت يدك اليمنى تعثرك ... »

نلاحظ هنا أن سبب الالقاء فى جهنم لم يكن عدم الايمان ، وانما كانت خطية واحدة من خطايا الجسد ، مثل شهوة العين التى تقود الى الزنا ، أو السرقة مثلا .

● (لو ١٣:٢٤ــ٢٨) :

« اجتهدوا أن تدخلوا من الباب الضيق : فانى أقول لــكم ان كثيرين سيطلبون أن يدخلوا ولا يقـــدرون ، من بعـــد ما يكون رب البيت قد قام وأغلق البـــاب . وابتدأتم تقفون خارجا وتقرعون الباب قائلين يا رب يا رب افتح لنا . فيجيب

ويقول لكم لا أعرفكم من أين أنتم ، تباعدوا عني يا جميع فاعلي الاثم • هناك يكون البكاء وصرير الأسنان ••• »

(هنا يكلم مؤمنين يقولون له يا رب يا رب •••• ولكنهم هلكوا لأنهم كانوا فاعلي اثم) •

● (مت ١٩:٢٤) :

« مرور جمـل من ثقب ابرة أيسر من أن يدخل غني الى ملكوت الله » •

[أي هناك من سيفقدون الملكوت ، لا بسبب عدم ايمانهم بل بسبب مخاطر الغنى] •

● (مت ١٢:٣٦) :

« ولكن أقول لكم ان كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حسـابا يوم الدين ، لأنك بكلامك تبرر وبكلامك تدان » •

[ان ايمان الانسـان لا ينفي وقوعه في الدينونة بسبب كلامه] •

وهنا نتذكر قول معلمنا القديس باسيليوس الكبير : ماذا يفيدني لو عملت كل البر ، ثم أقول لأخي يا أحمق فأكون مستحقا نار جهنم . لأن ربنا يسوع المسيح يقول : « ومن قال لأخيه يا أحمق يكون مسـتحقا نار جهنم » (متى ٥ : ٢٢)

الدينونة ... حسب الأعمال

هذه حقيقة واضحة تبين أهمية أعمال الانسان •

فى العهد القديم يقول داود فى المزمور « لك يا رب الرحمة لأنك **تجازى الانسان كعمله** » (مز ٦٢ : ١٢) ، ويقول سفر الجامعة « لأن الله يحضر كل عمل الى الدينونة ، على كل خفى ان كان خيراً أو شراً » (جا ١٢ : ١٤) •

وفى العهد الجديد تأكدت هذه الحقيقة من فم السيد المسيح وأفواه رسله القديسين ، وفى هذا يقول السيد الرب « فان ابن الانسان سوف يأتى فى مجد أبيه مع ملائكته **وحينئذ يجازى كل واحد حسب عمله** » (مت ١٦ : ٢٧) • كما قال أيضا « فانه تأتى ساعة فيها يسمع جميع الذين فى القبور صوته . فيخرج الذين فعلوا الصالحات الى قيامة الحياة ، والذين عملوا السيئات الى قيامة الدينونة » (يو ٥ : ٢٨ ، ٢٩) لاحظوا أنه يتكلم فى هذه الآية عن الأعمال « الذين فعلوا الصالحات ••• والذين عملوا السيئات » •

وليست الدينونة على الأعمال فقط ، بل حتى على الكلام • ولذلك يقول « بكلامك تبرر وبكلامك تدان » (متى ١٢ : ٣٦)

وهذ الأمر واضح فى سفر الرؤيا • اذ أن الرب أرسل الى كل ملاك من ملائكة الكنائس السبع يقول له « أنا عارف

أعمالك » (رؤ ٢ ، ٣) • كما قال الرب صراحة « **وها أنا آتى سريعاً وأجرتي معى ، لأجازى كل واحد كما يكون عمله** » **(رؤ ٢٢ : ١٢) •**

وقد قيل في هذا السفر « طوبى للأموات الذين يموتون فى الرب منذ الآن • نعم يقول الروح ! لكى يستريحوا من أتعابهم ، **وأعمالهم تتبعهم** » (رؤ ١٤ : ١٣) • وقيل أيضا « ودين الأموات **مما هو مكتوب فى الأسفار بحسب أعمالهم** » (رؤ ٢٠ : ١٢) •

وصورة الدينونة التى شرحها لنا الرب يسوع من حيث كلامه الذى يقوله للذين عن اليمين ، وكلامه للذين على اليسار ، هى صورة دينونة حسب الأعمال • اذا أنه قال للذين عن اليمين « جعت فاطعمتونى ، عطشت فسقيتمونى ، كنت غريبا فآويتمونى ••• » • وبناءاً على هذه الأعمال الصالحة قال لهم تعالوا يا مباركى أبى ، رثوا الملك المعد لكم منذ تأسيس العالم » (مت ٢٥ : ٣١ ـ ٤٦) ••• وبالمثل فعل مع الأشرار ، دانهم حسب أعمالهم •

اذن يكفى أن يقصر الانسان فى اطعام الجياع أو زيارة المرضى ، واذ يخلو قلبه من هذه الرحمة يفقد الملكوت ، مهما كان له من ايمان ، ومهما كان له من ثقة جوفاء فى داخله لا تغنيه شيئاً !! ما أخطر العبارة التى قالها معلمنا يعقوب الرسول « ما المنفعة ياأخوتي ان قال أحد ان له ايمانا ولكن

ليس له أعمال . هل يقدر الايمان أن يخلصه ؟ ! » (يع ٢ : ١٤) .

وكون الدينونة حسب الأعمال ، حقيقة تكلم عنها بولس الرسول كثيرا . فقال « لأنه لابد أننا جميعاً نظهر أمام كرسى المسيح ، **لينال كل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع خيراً كان أم شراً** » (٢ كو ٥ : ١٠) . وقال أيضا . « ولكنك من أجل قساوتك وقلبك غير التائب تذخر لنفسك غضباً فى يوم الغضب واستعلان **دينونة الله العادلة الذى ، سيجازى كل واحد حسب أعماله** » (رو ٢ : ٥ ـ ٧) .

وتلخيصا للدينونة حسب الأعمال ، قال بولس الرسول كذلك « فان الذى يزرعه الانسان ، اياه يحصد أيضا . لأن من يزرع لجسده ، فمن الجسد يحصد فساداً . ومن يزرع للروح ، فمن الروح يحصد حياة أبدية » (غل ٦ : ٧ ، ٨) . كما قال « فعمل كل واحد سيصير ظاهراً ، لأن اليوم سيبينه وستمتحن النار عمل كل واحد ما هو (اكو ٣ : ١٣) . وقال أيضاً « كل واحد سيأخذ اجرته بحسب تعبه » ، ولم يقل « بحسب ايمانه » أو « بحسب النعمة » ...

وعن الدينونة حسب الأعمال قال بطرس الرسول عن الأب « **الذى يحكم بغير محاباة حسب عمل كل واحد** ، فسيروا زمان غربتكم بخوف » (ابط ١ : ١٧) .

فان كانت الأعمال على هذه الدرجة من الخطورة ـ خيراً

كانت أم شراً ـ بحيث يدان الانسان بموجبها ، فهل يجرؤ أحد أن يقلل من قيمة الأعمال وأهميتها ؟! •

ان كان الله لا ينسى « كأس الماء البارد » فلا يضيع أجره ، ولا ينسى أبداً تعب المحبة ، « اذن يا اخوتى الأحباء كونوا راسخين غير متزعزعين ، مكثرين فى عمل الرب كل حين ، عالمين أن تعبكم ليس باطلا فى الرب » (١ كو ١٥ : ٥٨) •

ان الأعمال هامة جداً فى طريق خلاصنا ، وهامة فى تحديد مصيرنا الابدى ، فلنتأمل اذن كم هى لازمة •••

الأعمال ثمار لازمة للإيمان

الأعمال ثمار للايمان • الايمان الحى لابد أن يثمر ، وهو يثمر أعمالا صالحة • هــذه الأعمال دليل على وجــود الايمان وحيويته • وهى أيضا ثمار لعمل الروح القدس فينا ، وثمار لازمة لحياة التوبة التى نحياها •

فهل يطلب الله هذه الأعمال ؟ أو يطلب هذه الثمار ؟ نعم يطلبها ، ويشدد فى ذلك •••

وقف يوحنا المعمدان ينادى قائلا « اصنعوا أثماراً تليق بالتوبة ، ولا تبتدئوا تقولون فى أنفسكم لنا ابراهيم أباً ••• » (لو ٣ : ٨) • ان اختيار الله لكم ، ليس معناه أن تخلصوا بدون أعمال • لابد أن تصنعوا ثماراً تليق بالتوبة • وان لم

نصنع ؟ ان لم تصنعوا ثمرا فنهايتكم تكون الهلاك • وما الدليل ؟

يستطرد يوحنا المعمدان — أعظم من ولدت النساء — فيقول « والآن قد وضعت الفأس على أصل الشجرة • **فكل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تقطع وتلقى فى النار** » **(لو ٣ : ٩) أى أن الذى لا يعمل أعمالا صالحة يهلك • تحتج قائلا أن لى ابراهيم أبا ، أنا مولود من الله ، أنا تبررت وتقدست وتجددت • أقول لك « اصنع ثمارا تليق بالتوبة »** •

هذا الكلام لم يقله يوحنا المعمدان فقط ، لكننا فى العهد الجديد أيضا نجد بولس الرسول يقول « أخبرت أولا الذين فى دمشق وفى أورشليم حتى جميع كورة اليهود ، ثم الأمم ، أن يتوبوا ويرجعوا الى الله ، عاملين أعمالا تليق بالتوبة » (أع ٢٦ : ٢٠) •

وفى رسالته الى تيطس يقول « صادقة هى الكلمة ، وأريد أن تقرر هذه الأمور لكى يهتم الذين آمنوا بالله ان يمارسوا أعمالا حسنة » • لماذا أيها القديس العظيم ؟ يكمل معلمنا بولس كلامه فيقول « •• **وليتعلم من لنا أيضا أن يمارسوا** أعمالا حسنة ••• حتى لا يكونوا بلا ثمر » (تى ٣ : ٨ ، ١٤) •

الأعمال اذن هى ثمر للايمان • ان كان لك ايمان ، ولا يعطى ثمراً ، فهو اذن ايمان ميت • لأنه لو كان حياً لأعطى ثمراً •

وهذه المسألة يشرحها باستفاضة معلمنا يعقوب الرسول فيقول « ما المنفعة يا أخوتى ان قال أحد ان له ايمانا ولكن ليس له أعمال • هل يقدر الايمان أن يخلصه ؟! » (يع ٢ : ١٤) **أنت مؤمن بالمسيح ، وتقول ان دم المسيح قد طهرنى وقد جددنى وقد بررنى • حسن هذا جداً ، ولكن ان لم تكن لك أعمال ، فهل يقدر هذا الايمان أن يخلصك ؟!** ان يعقوب الرسول يثبت فى صراحة تامة عجز الايمان عن تخليص انسان ليست له أعمال •

فهل يعقوب الرسول هو الوحيد الذى هاجم مثل هذا الايمان الميت ؟ كلا ، بل ان بولس الرسول قال أيضا « ان كان لى كل الايمان حتى أنقل الجبال ، ولكن ليس لى محبة فلست شيئا » (١كو ١٣ : ٢) •

ان كنت حقاً ابناً لله ، وهيكلا لله ، والروح القدس يحيا فيك ، فينبغى أن تكون لك أعمال هى ثمار الروح فيك • ومعلمنا بولس الرسول يشرح هذه الثمار فيقول : « **وأما ثمر الروح فهو محبة** ، فرح ، سلام ، طول أناة ، لطف ، صلاح ايمان ، وداعة ، تعفف (غل ٥ : ٢٢) • فهل توجد فيك هذه الثمار ؟ ان كانت لا توجد ، فما الدليل على أن الروح القدس يعمل فيك ؟! •

ان الشجرة التى لا تثمر ، هى شجرة مائتة • وقد قال السيد المسيح له المجد « **كل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً ، تقطع**

وتلقى فى النار • فاذن من ثمارهم تعرفونهم • ليس كل من يقول لى يا رب يا رب يدخل ملكوت السموات ، بل الذى يفعل ارادة أبى الذى فى السموات » (مت ٧ : ١٩ ـ ٢١) • وهنا نرى أن السيد الرب قد ربط بين الخلاص والثمر الجيد الذى يدل عليه عمل ارادة الأب •

ولأهمية هذه الثمار قال الرب فى توبيخه لليهود « **لذلك أقول لكم ان ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره** » **(مت ٢١ : ٤٣) •**

وقد شرح لنا الرب كيف أنه أزمع أن يقطع التينة التى لم تصنع ثمراً ، فتوسل اليه الكرام قائلا « يا سيد أتركها هذه السنة أيضا حتى أنقب حولها وأضع زبلا • **فان صنعت ثمراً والا ففيما بعد تقطعها** » **(لو ١٣ : ٦ ـ ٩)** • فان كنت تخشى أيها الأخ على نفسك من هذا القطع ، فاسرع الآن واعمل أعمالا تليق بأبناء الله • لا تستهن بقيمة الأعمال، فقد وضعت الفأس على أصل الشجرة •

ان الأعمال ليست فقط ثمراً للايمان ، وانما أكثر من هذا:

الأعمال برهان على وجود الإيمان :

يقول مار يعقوب الرسول « أرنى ايمانك بدون أعمالك • وأنا أريك بأعمالى ايمانى » (يع ٢ : ١٨) • أى أن الأعمال

تدل على وجود الايمان . وهذا واضح من قول الـكتاب « من ثمارهم تعرفونهم ... كل شجرة جيدة تصنع أثماراً جيدة . وأما الشجرة الرديئة فتصنع اثماراً ردية » (متى ٧ : ١٦ ، ١٧).

الأعمال برهان على الولادة من الله :

ذلك لأن الكتاب يقول « ان علمتم أنه بار هو ، فاعلموا أن كل من يصنع البر مولود منه » (ايو ٢ : ٢٩) . ويقول أيضا « كل من هو مولود من الله لا يفعل خطية » (ايو ٣ : ٩). واعتبر أن هذا هو المميز لأولاد الله ، فقال بعدها « **بهذا أولاد الله ظاهرون ، وأولاد ابليس (ظاهرون)** » (ايو ٣ : ١٠) .

وهذا يشبه ما قاله الرب لليهود المفتخرين باطلا ببنوتهم لابراهيم : « لو كنتم اولاد ابراهيم لكنتم تعملون اعمال ابراهيم » (يو ٨ : ٣٩) . فاتخذ الأعمال دليلا على البنوة .

وقد دافع بولس الرسول أيضاً عن هذه النقطة فقال « لأن كل الذين ينقـادون بروح الله ، فاولئـك هم أولاد الله » (رو ٨ : ١٤) .

ان كان اولاد الله هم هؤلاء الابرار . فبماذا نسمى الخطة ؟ سماهم الكتاب « أولاد الأفاعي » (متى ٣ : ٧) . وسماهم « أولاد ابليس » (يو ٨ : ٤٤) ، (ايو ٣ : ١٠) . وسماهم أيضاً « ابناء الغضب » و « ابناء المعصية » (اف ٢:٢،٣) .

ان أتاك أحد اذن ، وقال لك انني ابن لله ، لأني تجددت وتبررت وتقدست • فقل له « من ثمارهم تعرفونهم » •

الاعمال اذن ثمر للايمان ، وبرهان على وجود الايمان ، وبرهان على البنوة لله • وماذا أيضاً ؟ نقول كذلك •

بالأعمال يكمل الايمان :

فهكذا قال الرســـول « وبالأعمـــال أكمل الايمان » (يع ٢ : ٢٢) •

لقد بلغ الأمر بيعقوب الرسول أنه ـ عندما تكلم عن الديانة ـ قال « الديانة الطاهرة النقية عند الله الأب هي هذه : افتقاد اليتامى والأرامل في ضيقتهم ، وحفظ الانسان نفسه بلا دنس من العام » (يع ١ : ٢٧) • وكل هذه أعمال ولا شك • ولكننا لا نستغل هذه الآية ـ كما يفعل البعض ـ وذلك لايماننا بمبدأ « خطورة استخدام الآية الواحدة » •

مادامت الأعمال اذن بهذه الأهمية • فلنتذكر على الدوام قول مار يعقوب « فمن يعرف أن يعمل حسناً ، ولا يعمل ، فذلك خطية له » (يع ٤ : ١٦) •

أهمية السلوك والأعمال الصالحة

يقول البعض « ما علاقة الخلاص بسلوك الانسان ؟ ان المسألة مسـألة ايمان ، وليست مسـألة سلوك أو أعمال صالحة » !! لذلك سنبين هنا اهمية السلوك وحفظ الوصايا •

● يقول يوحنا الرسول « ان قلنا ان لنا شركة معه ، وسلكنا فى الظلمة ، نكذب ولسنا نعمل الحق • ولكن ان سلكنا فى النور كما هـو فى النور ، فلنا شركة بعضنا مع بعض ، ودم يسـوع المسـيح ابنه يطهرنا من كل خطية » (ايو ١ : ٦ ، ٧) •

اذن سلوكنا فى النور له نتيجتان ، هما الشركة والتطهير .

سلوكنا فى النور ، يجعل لنا شركة مع الرب ومع بعضنا البعض • بعكس سلوكنا فى الظلمة ، فانه يعطل شركتنا مع الله •

وسـلوكنا فى النور يجعلنا مستحقين ان نتطهر بـدم المسيح • لأنه يقول « ان سلكنا فى النور ••• دم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية » • « ان سلكنا فى النور » • هنا شرط • اذن فاستحقاقات الفداء ، والتطهير بدم المسيح ، يستلزم منا أن نسلك فى النور • ما أهم هذا السلوك اذن وما أخطره •••

● **هـذا السلوك الحسن ينجينا من الدينونة فى اليوم الأخير** • يقول الكتاب « اذن لا شىء من الدينونة الآن على الذين هم فى المسيح يسوع ، السالكين ليس حسب الجسد ، بل حسب الروح » (رو ٨ : ١) • انك بالمسيح يسوع تنجو من الدينونة ، ولـكن بشرط ••• بشرط أن يكون سـلوكك روحياً •

ونلاحظ هنا أن عبارة القديس بولس الرسول تشمل الناحيتين السلبية والايجابية • فمن جهة ينبغي أن يبعد المؤمن عن الشر ، فلا يسلك حسب الجسد • ومن الجهة الاخرى ينبغى أن يثمر فى الفضيلة ، فيكون سالكا حسب الروح •

● **لذلك ما أكثر وصايا آبائنا الرسل عن أهمية السلوك :**

يقول القديس بولس فى رسالته الى أهل غلاطية « ان كنا نعيش بالروح ، فلنسلك أيضا بحسب الروح » (غل ٥ : ٢٥) • ويشدد على هذه النقطة قائلا « **اسلكوا بالروح ، ولا تكملوا شهوة الجسد** » **(غل ٥ : ١٦)** • ويأمر أن نسلك « فى جدة الحياة » (رو ٦ : ٤) •

ويرسل الى أهل افسس قائلا « اسألكم أنا الأسير فى الرب أن **تسلكوا كما يليق بالدعوة التى دعيتم اليها** » (اف ٤ : ١) • ويقول لهم أيضا « انظروا كيف تسلكون بالتدقيق ، لا كجهلاء بل كحكماء » (اف ٥ : ١٥) •

[انظر أيضا اتس ٢ : ١٢ ، ٤ : ١ ، كو ١ : ١٠ ، رو ١٣ : ١٣] •

● **ومن ثم كان آباؤنا الرسل يمنعون الخلطة بالذين يسلكون بلا ترتيب** • لذلك يقول مار بولس فى رسالته الثانية الى تسالونيكى « ثم نوصيكم أيها الأخوة باسم ربنا يسوع المسيح ، أن تتجنبوا كل أخ يسلك بلا ترتيب وليس حسب التقليد الذى أخذه منا » (٢ تس ٣ : ٦ ، ١١) •

● **ويرى آباؤنا الرسل أن السلوك الحسن هو علامة المحبة ، والدليل على الثبات فى المسيح ٠**

فيقول القديس يوحنا الرسول « وهذه هى المحبة أن نسلك بحسب وصاياه » (٢ يو ٦) ٠ ويقول أيضا « من قال انه ثابت فيه ، ينبغى أنه كما سلك ذاك يسلك هو أيضاً » (١يو ٢ : ٦) ٠

● **وحفظ الوصايا هو دليل محبة المسيح والعلاقة به :**

قال القديس يوحنا الرسول « فان هذه هى محبة الله ، أن نحفظ وصاياه ، ووصاياه ليست ثقيلة » (١يو ٥ : ٣) ٠ ولعل هذا هو ما قاله الرب نفسه « الذى عنده وصاياى ويحفظها ، فهو الذى يحبنى (يو ١٤ : ٢١) ٠

أما كونها دليل العلاقة به ، فقد قال الرب أيضاً « من يصنع مشيئة أبى الذى فى السموات ، هو اخى واختى وأمى » (متى ١٢ : ٥٠) ٠

ان كان سلوك الانسان على هذه الدرجة من الأهمية : تتوقف عليه شركتنا مع الله ومع الكنيسة ، ويتوقف عليه تطهيرنا من خطايانا بدم المسيح ، وبه تكون دينونتنا ٠ وهو دليل على محبتنا لله ، وثباتنا فيه ، وعلاقتنا به ؛ فهل يصح أن يتجاهله أحد ، قائلا ان حياتنا ليست مسألة سلوك وانما ايمان !!٠٠

الفصل الثالث

الجهاد والنعمة

ان كانت الأعمال لازمة للخلاص فهل يخلص الانسان بأعمالـه أم بنعمة الروح القدس العاملـة معه ؟ لقد تطرف كثيرون في التحمس لأحد الجانبين ، فأخطأوا • وسنحاول في هذا المجال أن نجيب عن هذا السؤال الهام وهو كيف يخلص الانسان ؟ بالجهاد أم بالنعمة ، أم بكليهما معا ؟

الجهاد والنعمة معاً :

لا يمكن للانسان أن يخلص بجهاده وحده • فقد قال السيد المسـيح له المجد « **بدونى لا تقدرون أن تفعلوا شـيئا** » (يو ١٥ : ١٥) • اذن فذراعك البشرى وحده ـ بدون معونة من الله ـ لا يمكن أن يخلصك ، مهما جاهدت ومهما تعبت •

وأيضا النعمة وحدها لا تشاء أن تخلصك بدون استجابة أرادتك لها • وما أجمل قول القديس يوحنا ذهبى الفم « أن الله لا يريدنا أن نكون مستلقين على ظهورنا ويعطينا الملكوت ، لذلك

فالنعمة لا تعمل كل شيء وحدها » • فهي ليست مجالا للكسل والتهاون والتراخي •

فلا تجلس كسلانا ، دون جهاد في حياتك ، قائلا في غير فهم : انى تارك نفسى للنعمة تعمل بى ما تشاء !! ان عمل النعمة فيك يا أخى ليس معناه ان تنام وتتهاون فى أداء واجباتك •

مثال يشوع وموسى :

كان يشوع بن نون يقود الجيش ويحارب عماليق ، وفى نفس الوقت كان موسى النبى يقف على رأس التلة رافعاً يديه بالصلاة •• (خر ١٧ : ١١) •

فهل انتصر الشعب عن طريق جيش يشوع المحارب ، أم عن طريق صلاة موسى ؟ يخطيء من يركز على واحد من الأمرين ويهمل الآخر • لأن يشوع وحده مهما حارب بدون صلاة موسى ـ أى بدون معونة من الله ـ ما كان ممكنا أن ينتصر • وصلاة موسى وحدها لم يكن معناهـا مطلقاً تشـجيع الجيش على أن يتراخى أمام العدو معتمداً على صلاة موسى ! الجهاد والصلاة معا كانا سائرين جنبا الى جنب • هذا يجاهد فى الحرب ، والآخر يرفع يديه بالصلاة • الاثنان متلازمان •

شركة الروح القدس :

هناك عبارة جميلة ، ان فهمناها فهمنا الكثير عن النعمة والجهاد . تقول البركة الرسولية « نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله وشركة الروح القدس مع جميعكم » (٢ كو ١٣ : ١٤) فما معنى عبارة شركة الروح القدس ؟ .

انهـا شركة بين اثنين يعملان ســويا : الروح القـدس والانسان . فالروح القدس يقدر أن ينقذك وينجيك ، ولكنه لا يشاء أن يفعل هذا بمفرده ، وانما يريدك أن تشترك معـه في تدبير حياتك ... وهذه هي شركة الروح القدس .

لعلك تحتج وتقول : كيف هذا! ألا يستطيع الروحالقدس وحده أن يخلصني ؟ نعم انه يستطيع ، ولكنه لا يشاء ، لأنه ليست في سياسة الله أن يرغمك على عمل الخير ، لأن العمل الذى لا ارادة لك فيه ، لا يجوز مطلقا أن تكافأ عليه .

وان كان الروح القدس هو وحـده الذى يعمل ، فلماذا اذن وجد أبرار وأشرار ؟ لو أن الأمر يتلخص في عمل الروح القدس وحـــده ، ما وجـــد خاطيء واحـــد على الأرض .
ان الروح القدس يستطيع أن يجعل الخاطيء يتوب ، ولكنـه لا يشاء أن يفعل هذا ما لم تتحد ارادة هذا الخاطيء معه .. انها شركة .

ان مجرد وجود انسان خاطئ واحد فى العالم ، لا يتوب ، لهو دليل أكيد على أن النعمة وحدها لا تعمل كل شئ •

هل عمل النعمة معناه الغاء الحرية الشخصية :

كلا فحريتك قائمة ، وارادتك قائمة • تستطيع أن تستجيب لعمل الروح القدس فيك، وأن تشترك معه وتنقاد له• **ويمكنك أيضا أن توقف عمل الروح القدس فيك اذا أردت • ولذلك يحذرنا الكتاب المقدس قائلا : « لا تطفئوا الروح » (١ تى ٥ : ١٩) ، ويقول أيضا «لا تحزنوا روح الله القدوس» (أف ٤ : ٣٠) •**

النعمة واقفة على الباب تقرع ••• « هأنذا واقف على الباب وأقرع ، ان سمع أحد صوتى وفتح الباب ، أدخل اليه وأتعشى معه وهو معى » (رؤ ٣ : ٢٠) • وان لم يفتح ، فهو حر ، يحدد مصيره كما يشاء •

النعمة تعرض معونتها عليك • وأنت حر تقبل أو لاتقبل• تعمل أو لا تعمل •••

اذا اشتركت مع الروح القدس فى العمل ، من أجل نفسك ، تصل بنعمة الروح القدس الى كمال القداسة ، حسب درجة استجابتك وانقيادك • واذا رفضت الاشتراك ، فالنعمة لا تشاء مطلقا أن ترغمك على الخير •

يتطرف كثير من الناس ، لدرجة أن كلمة الجهاد الشخصى تبدو كما لو كانت هرطقة ! كما لو كانت عملا ضد الايمان وضد معونة الله ! وهذا كله خطأ .

فالنعمة عبارة عن سلاح مقدم اليك ، تستطيع أن تحارب به وتنتصر ان أردت ، وتستطيع أن تهمله ، وتقابل عدو الخير وأنت أعزل فتنهزم . وأنت فى كلا الأمرين حر تنفذ مشيئتك ، ومن الخير لك أن تستخدم السلاح المقدم اليك من أجل خلاص نفسك .

وكمثال لهذا الأمر نقول : لو أن جنودا أخذوا من قيادتهم أثناء الحرب دبابات ومدافع وقنابل وأسلحة ، وقاتلوا وانتصروا : فهل النصر راجع الى بسالتهم أم الى الأسلحة ؟ ان بسالتهم وحدها ـ بدون أسلحة ـ ما كانت تكفى مطلقا للانتصار ، فالحرب تحتاج الى سلاح . والأسلحة وحدها ، بدون جنود مهرة يستخدمونها ، لا يمكن بمفردها أن تعمل شيئا . كذلك الأمر فى الحروب الروحية هى اشتراك بين ارادة الانسان وأسلحة الروح .

ضرورة الجهاد :

كثيرة هى النصوص المقدسة التى تشرح ضرورة الجهاد .. نذكر من بينها قول الرسول « لذلك نحن أيضا اذ لنا سحابة من الشهود مقدار هذه محيطة بنا ، لنطرح كل ثقل والخطيئة

المحيطة بنا بسهولة ، **ولنحاضر بالصبر فى الجهاد الموضوع أمامنا** » (عب ١٢ : ١)٠ يقول الرسول هذا ثم يوبخ العبرانيين قائلا « لم تقاوموا بعد حتى الدم **مجاهدين ضد الخطيئة** » (عب ١٢ : ٤) ٠

فالمفروض اذن أن نجاهد ، وليس جهادا عاديا ، انما جهاد حتى الدم ضد الخطيئة ٠ وان سأل أحد : الى متى هذا الجهاد؟ نقول انه جهاد العمر كله ٠ وكما يقول الكتاب « الذى يصبر الى المنتهى فهذا يخلص » (مت ١٠ : ٢٢) ٠ ورسول الجهاد نفسه شرح لنا كيف عاش بالنعمة فقال « جاهدت الجهاد الحسن ، أكملت السعى ، حفظت الايمان ٠ وأخيرا قد وضع لى اكليل البر الذى يجزينى به فى ذلك اليوم الرب الديان العادل » (٢ تى ٤ : ٧ ، ٨) ٠

انه جهاد ، ولكنه ليس جهادا شخصيا منفصلا عن عمل الله فيه ٠ بل انه يجمع الاثنين معا اذ يقول عن كرازته « الأمر الذى لأجله أتعب أيضا مجاهدا ، بحسب عمله الذى يعمل فى بقوة » (كو ١ : ٢٩) ٠

ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى :

أما الذين يتطرفون فى الحديث عن النعمة بحيث يحتقرون عمل الجهاد ، فانهم يعترضون بالآية التى تقول « ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى ، بل لله الذى يرحم » (رو ٩ : ١٦) ٠

فما معنى هذا ؟ هل معناه أن رحمة الله تعطينا الخلاص المجانى ، وتنقلنا الى الملكوت ، بدون سعى وبدون مشيئة صالحة ؟! هل معنى هذا أن ينام كل انسان ويكسل، ولايسعى نحو الخير ، ولا يريده ، مكتفيا بأن يرحمه الله وهو فى هذا التراخى ؟!

مستحيل أن يقصد الرسول هذا • مستحيل أن يقصد هذا المعنى من قوله ولا لمن يسعى ، بينما يقول « قد جاهدت الجهاد الحسن ، أكملت السعى ••• » •

ان الذى قال (ليس لمن يسعى) ، قد أكمل السعى • ونال اكليل البر نتيجة لهذا السعى ، ونتيجة لجهاده الحسن •

ان الذى قال (ليس لمن يسعى) ، هو الذى قال عن نفسه « ليس أنى قد نلت أو صرت كاملا ، ولكنى **أسعى لعلى أدرك** الذى لأجله أدركنى أيضا المسيح يسوع ••• أيها الاخوة أنا لست أحسب نفسى قد أدركت ، ولكنى أفعل شيئا واحدا ، اذ أنا أنسى ما هو وراء وأمتد الى ما هو قدام • **أسعى نحو الغرض** لأجل جعالة دعوة الله العليا » (فى ٣ : ١٢ ـ ١٤) •

ان بولس نفسه يسعى لكى يدرك • فهل هذا هو مجرد اختبار خاص قد مر بك يا بولس ؟ أبدا ••• انه للكل • لذلك يتابع الرسول كلامه فيقول « فليفتكر هذا جميع الكاملين منا » (فى ٣ : ١٥) ••• ان كنت كاملا اذن عليك أن تسعى لكى تدرك •

وبولس الرسول نفسه يدعونا جميعا الى هـذا السعى وهذا الجهاد فيقول « ألستم تعلمون أن الذين يركضـون فى الميدان جميعهم يركضون ولكن واحدا يأخذ الجعـالة ، هكذا **اركضوا لكى تنالوا** » (١ كو ٩ : ٢٤) •

ما الذى تطلبه منا أيها الرسول العظيم ؟! كيف نركض، والأمر ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى ؟! ما الفائدة من أن نركض وأن نجاهد ؟ كفانا أن نجلس كما نحن ، وتأتينا النعمة من عند الله ، فتنقلنا من الموت الى الحياة ، وتدخلنـا مجـانا الى الملكوت ، دون أن نشاء ودون أن نسعى •• ! ان بولس يكمل كلامه فيقول « **وكل من يجاهد يضبط نفسه فى كل شيء •• اذن أنا أركض هكذا** ••• بل أقمع جسدى واستعبده ، حتى بعـدما كرزت للآخـرين ، لا أصـير أنا نفسى مرفوضـا » (١ كو ٩ : ٢٥ ـ ٢٧) •

اذن فهذا الركض وهـذا السعى ، ليس لنـا فقط نحن المؤمنين الضعفاء وانما هو للرسل أيضا • **فبولس نفسـه يركض • بولس الذى كان ممتلئا من الروح القدس ، الذى كانت تعمل فيه النعمة أكثر من الجميع ، هو أيضا كان محتاجا أن يركض ، وأن يسعى ، وأن يكمل السعي ، وأن يجاهـد الجهاد الحسن** ••• ويدعونا معه أن نركض مثله لكى ننال••

بل ان بولس العظيم نراه يقمع جسده ويستعبده ، حتى

لا يصير هو نفسه مرفوضا ! فان كان بولس الرسول يجاهد ويخاف أن يرفض فماذا نفعل نحن ؟

ما معنى اذن قوله « ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى بل لله الذى يرحم » ؟ **معناه أن الملكوت لا تصل اليه بمجرد مشيئتك فقط ، أو بمجرد سعيك فقط ، بدون عمل الله معك ، وبدون معونة من نعمته ، وبدون شركة الروح القدس .**

فالجانب الأساسى فى الموضوع يرجع الى الله الذى يرحم. فالذى يعتمد على مشيئته وحده ، وعلى سعيه وحده ، هو مخطىء ، فأنا أسعى والله يرحم . وعندما يبارك الله سعيى ، أرجع الفضل الى الله وليس الى هذا السعى .

حقيقى ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى ، ولكن لله الذى يرحم . ولكن من هو الذى يرحمه الله ؟ يقول أحد القديسين: ***« ان الله يرحم الذين يشاءون والذين يسعون » .***

تذكرنى هذه الآية بقول بولس الرسول أيضا « اذن ليس الغارس شيئا ولا الساقى بل الله الذى ينمى » (١ كو ٣ : ٧) .

حقيقى أن الفضل لله الذى ينمى . ولكن الله ينمى الغرس الذى غرس وسقى . ليس معنى الآية أننا لا نغرس ولانسقى. قائلين فى أنفسنا ليس الغارس شيئا ولا الساقى ، ثم بعد ذلك فى جهالة ننتظر أن الله ينمى !! **بل اننا نغرس ونسقى،**

ونقول ليس الفارس شيئا ولا الساقى بل الله الذى ينمى .
تماما مثلما نشاء ونسعى ، ونقول ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى
بل لله الذى يرحم .

الحرب الروحية :

فلنتأمل شرح الرسول لهذه الحرب الروحية في الاصحاح السادس من رسالته الى أفسس اذ يقول :

« أخيرا يا اخوتى ، تقووا فى الرب وفى شدة قوته . البسوا سلاح الله الكامل ، لكى تقدروا أن تثبتوا ضد مكايد ابليس . **فان مصارعتنا ليست مع دم ولحم ، بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر** ، مع أجناد الشر الروحية فى السمويات . من أجل ذلك احملوا سلاح الله الكامل ، لكى تقدروا أن تقاوموا فى اليوم الشرير . وبعد أن تتمموا كل شىء ، أن تثبتوا . فاثبتوا ممنطقين أحقاءكم **بالحق** ، ولابسين درع **البر** ، وحاذين أرجلكم باستعداد **انجيل** السلام . حاملين فوق الكل ترس الايمان الذى به تقدرون أن تطفئوا جميع سهام الشرير الملتهبة . وخذوا خوذة الخلاص ، وسيف الروح الذى هو **كلمة الله . مصلين** بكل صلاة وطلبة كل وقت فى الروح ، **وساهرين** لهذا بعينه بكل مواظبة وطلبة ... » (أف ٦ : ١٠ ــ ١٨) .

هنا مصارعة ، وهنا حرب روحية ، وجهاد • والسلاح هو سلاح الله الكامل • ولكن ليس معنى هذا أننا لا نجاهد • انما يجب أن تجاهد ، وتعتمد على الله في جهادك • لا تكن مثل شخص قدمت اليه أسلحة الله الروحية ، ووقف صامتا لا يستخدمها ، ولا يحارب بها • الأسلحة موجودة ، ولكن عليه أن يحارب •

أسلحة الله لها قوتها ، ولكن ان لم تستخدمها فستنهزم• ان الأشخاص الذين ذكرهم بولس الرسول باكيا في (في ٣)، كان بامكانهم أن يستخدموا كل تلك الأسلحة ، ولكنهم تركوها ، ومالت نفوسهم نحو الخطيئة واستسلموا لها ، فهلكوا في خطاياهم •

على أننا في تلك الأسلحة الروحية نلاحظ البر ، والحق ، وكلمة الله ، والصلاة والطلبة ، والسهر •• وكل هذه أعمال

ومعلمنا بطرس الرسول يتكلم أيضا عن هذه الحرب الروحية فيقول « اصحوا واسهروا لأن ابليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتمسا من يبتلعه هو • فقاوموه راسخين في الايمان ••• » (١ بط ٥ : ٨ ، ٩) • ان ابليس عدونا مثل أسد زائر • فماذا نفعل اذن ؟

(قاوموه) ••• أي جاهدوا واصمدوا واستبسلوا • ولكن ليس اعتمادا على ذراعكم البشري ، بل (قاوموه راسخين

فى الايمان) • هذه الآية تدل على الأمرين معا : الجهاد فى مقاومة الشيطان ، والنعمة التى يعتمد عليها المجاهد بالايمان•

ومثل هذا الجهاد يدعو اليه بولس الرسول عندما يوبخ العبرانيين قائلا « لم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطيئة » (عب ١٢ : ٤) • هنا جهاد وهنا مقاومة • ولكننا لا نقاوم بقوتنا الخاصة وانما بسلاح الله الكامل ، راسخين فى الايمان •

وهكذا يقول بولس الرسول لتلميذه تيموثيئوس « جاهد جهاد الايمان الحسن » • فهنا جهاد وهنا ايمان ، والأمران يسيران معا • ويتحدث بولس الرسول عن جهاده فيقول « جاهرنا فى الهنا أن نكلمكم بانجيل الله فى جهاد كثير » (١ تس ٢ : ٢) • ويقول فى رسالته الى كولوسى (٢ : ١) « فانى أريد أن تعلموا أى جهاد لى لأجلكم » •

مثال داود وجليات :

كيف انتصر داود على جليات ؟ هل انتصر عليه بنعمة الله ومعونته ؟ نعم بلا شك • لقد كان داود معتمدا على الرب اعتمادا كاملا • ولذلك قال داود لجليات « أنت تأتى الى بسيف وبرمح وبترس ، وأنا أتى اليك باسم رب الجنود » • « هذا اليوم يحبسك الرب فى يدى ، فأقتلك وأقطع رأسك ••• وتعلم هذه الجماعة كلها أنه ليس بسيف ولا برمح يخلص

حقيقى أن الحرب للرب ، وأن الرب هو الذى حبس جليات فى يد داود ، ولكن كان لابد لداود أن يحارب ، وأن يتقدم الصف ويركض ، وينتخب حجارة معينة ، وأن يضع الحجر فى المقلاع ، ويسدد بمهارة • وكان لا بد أيضا أن يخترط السيف ، ويتمكن من الرجل ويقتله ••• وكل هذه أعمال •••

ومع كل هذا فنحن نرجع الفضل فى هذا الانتصار الى الله ، وليس الى داود • لأنه كان من الممكن أن الحصاة لا تأتى فى موضع قاتل بالنسبة لجليات فلا يموت بها • ومع أن داود حارب بكل مهارة ، وانتصر ، فاننا مع ذلك نردد قول بولس الرسول « ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى بل لله الذى يرحم »• لا بد من الجهاد والعمل ، ومع الجهاد والعمل ننسب النصر لله•

الايمان والعمل معاً :

هكذا أيضا فى الجهاد الروحى ••• هى حرب بلا شك • **أنت تحارب بكل ما عندك من قوة ، والقوة التى عندك هى من الله • تحارب بكل ما تملك من سلاح ، وهذا السلاح هو سلاح الله الكامل** • لا تقل : انى أنام ، وأسبح فى الأحلام ، وفى أحلامى أرى الله ينقذنى بالنعمة •••! ان الله لا ينقذ الكسالى ، والنعمة ليست تشجيعا على التراخى والتهاون •

تلميذ لا يذاكر ، ويذهب الى الكاهن يطلب صلاته لكى ينجح ، مؤمنا بقوة الصلاة ... ما الحكم على هـذا المثـال ؟ ان الايمان بدون أعمال ميت . على التلميذ أن يذاكر ، ويطلب الصلاة أيضا . وهكذا يتحد الايمان والعمل معا .

يقول البعض أن الجهاد هو ذراع بشرى « وملعون من يتكل على ذراع بشر » . والحقيقة أن الجهاد يصبح ذراعا بشريا ، لو اعتمد الانسان على ذاته فقط ، أى لو اعتبر أنه بمجرد جهاده يخلص دون عمل النعمة معه ! هنا يقف أمامه قول السـيد الرب « لأنكم بدونى لا تقدرون أن تفعلوا شيئا » (يو ١٥:٥).

ان الحرب بدون سلاح لا تصلح . والسلاح وحده بدون حرب ، وبدون انسان يستعمله جيدا ، لايمكن أن يجلب النصر . الاثنان متلازمان . وقد قال بولس الرسول « ان كان أحـد يجاهد ، لا يكلل ان لم يجاهد قانونيا » (٢ تى ٢ : ٥) . اذن لا بد أن تجاهد ، وتجاهد جهادا قانونيا ، وبهذا تخلص.

جهاد الرسل والرعاة :

هل الرسل لم يجاهدوا ولم يتعبوا من أجل الايمان ؟ ان بولس الرسول نفسه يقـول « أنا تعبت أكثر من جميعهم » (١ كو ١٥ : ١٠) . كلهم تعبوا ، وبولس تعب أكثر ، تعبا سجله فى رسالته الثانية الى كورنثوس (٢كو ١١:٢٣-٣٣). فاذا كانت المسـألة مجرد نعمة ، لمـاذا اذن يتعب بولس ؟

وما لزوم الكرازة والوعظ والنصح والتبشير والرعاية والتعب؟ مادامت النعمة تعمل كل شيء !!

لماذا يتعب الراعي ، ويرعى ويفتقد ويجاهد ؟ أليس الله قادرا أن يتكلم في قلوب الناس ويخلصهم وحده ؟! ما لزوم الرسل اذن والرعاة والوعاظ ؟! وما لزوم كل جهاد ؟ وهل نسمى كل هذا ذراعا بشرية ؟

لو كانت النعمة تعمل وحدها كل شيء ، فالكاهن اذن ينام ، ويصلي في قلبه قائلا : أنت يا رب الذى تتولى رعاية شعبك • من أنا حتى أجاهد وأرعى ؟! ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى بل لك أنت الذى ترعى الشعب !!

والواعظ ، لماذا يعظ ؟ يكفيه أن ينام في البيت مستريحا ويقول : نعمتك يا رب هي التى تتكلم في قلوب الناس وترشدهم وتخلصهم !!

وأنت ، لماذا تتعب نفسك في حياتك الخاصة ، في الصلاة وفي الصوم وفي الجهاد • استرح معتمدا على أن النعمة تفعل كل شيء !

العمل مع الله :

نقول هذا لأنه كم من أناس ضيعوا آخرين بنصيحة خاطئة يقولون فيها : لا تجاهد • لماذا تجاهد ؟ ان الله لا يبدأ

فى العمل معك الا عندما تقف أنت ! فابطل عملك لكى يعمل الله !!

ما هذا الكلام العجيب القاتل ؟ ما معنى أن تبطـل عملك لكى يعمل الله ؟! لماذا لا تشترك فى العمل مع الله ، فيعمل الله معك ، ويعمل الله فيك ، ويعمل الله بك . كما قال بولس عن نفسه وعن أبولس « فاننا نحن عاملان مع الله » (١ كو ٣:٩).

لماذا نفصل عملنا عن عمل الله ؟ لماذا لا نعمل سـويا ، نشترك معه وهو معنا . وهكذا يتكلم يوحنا الرسـول عن الرب وعن « الشركة معه » (١ يو ١ : ٦) . كما يتكلم بولس الرسول عن شركة الروح القدس ...

الله بنعمته ، بقوته ، بروحه القدوس ، يقـول لك : أنا أريد أن أعمل معك لتخليصك . فان قبلت العمل معى تخلص، وان لم تقبل فانك تحرم نفسك من هذا الخلاص .. أنا واقف على البـاب ، أعرض نعمتى ومحبتى وقوتى ومعـونتى وكل الامكانيات اللازمة لخلاص النفس التى أقرع على بابها. ولكن.. ان فتح أحد الباب لى ، ان قبل أن يعمل معى ، ان سـلمنى أحد ذاته لكى أعمل فيها ، ان استسلم أحد لعملى ، حينئـذ أشترك معه ، وهو معى .

مثال من التطرف :

من أسوأ ما قرأت فى حياتى عن التطرف فى انكار قيمة الأعمال ، ما كتبه ف.ب.ماير فى كتابه (مخلصون ومحفوظون

ان أشد البروتستانت تعصبا فى محاربة الجهاد ، يقولون أن للانسان جهادا واحدا فى حياته هو جهاد الصلاة • أما ف•ب• ماير هذا فانه يحارب أيضا الجهاد فى الصلاة •

فيقول تحت عنوان (عندما كففت عن مجهوداتى) : « ليس أمامك الا أن تدرك هذه الحقيقة ، وهى أنك **طالما كنت تصارع مع الله فانك تخسر أثمن بركاتك !** . لقد صارع يعقوب مع الله طول الليل ولم يتقدم خطوة واحدة • وعندما لم يستطع أن يصارع بعد ، لأن حق فخذه قد انخلع ، وكان على وشك السقوط ، نال البركة التى جعلته رئيساً » !!

ويستطرد ماير فيقول : « لقد تأوهت وجاهدت وتوسلت لكن بلا جدوى • **والآن اصمت واسكت !! ان مجهوداتك الجبـارة زادت أمورك تعقيـداً** » !! ويظل هـذا الـكاتب البروتستانتى يحارب الصلاة والجهاد والتوسل والصراع مع الله ، الى ان يقول « **اعلم أن الله قادر أن يخلصك ••• لقد كان منتظرا كل هذا الوقت الطويل ليخلصك ، وحالما تنتهى مجهوداتك سيبدأ هو** » !! وهكذا يدعو الى ابطال السعى ، قائلا فى باب آخر عنوانه (لا نسعى بل نتقبل) : « انك لن تحصـل على البـركة التى تتوق اليها بالكفاح والنضـال بصرخاتك القوية وصلواتك ، بعزيمتك ومساعيك • بل بأن تهدىء نفسك أمام الله وتقبل النعمة » •

ثم شرح مثلا لفشل مجهودات الصلاة ، فروى قصة عن

انسان ظل يجاهد سنتين ، رفع فيهما صلوات الى الله ليهبه قوة للتغلب على تجربته • وبدا أن الصلوات لم تسمع • ولما يئس جدا ، ولما أبطل الصلاة ، بدأ الله يعمل ••• !!!

هل هذا تعليم يرضى ضمير أحد ؟! والكتاب يدعونا فى كل أسفاره ، أن نجاهد فى الصلاة ، وأن نصلى بلا انقطاع وأن نسهر ونصلى ••• ولكنه التطرف البروتستانتى فى انكار قيمة الجهاد حتى فى الصلاة !!

التداريب الروحية :

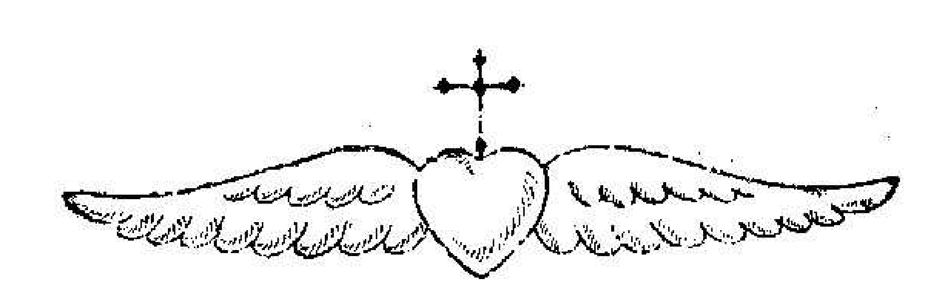
ان البروتستانت ومن اليهم ممن يحاربون الجهاد والعمل ، يحاربون أيضا التداريب الروحية ، كما لو كانت هى أيضا اعتمادا على ذراع بشرية •••

ونحن نقول انه اذا سلك الانسان فى التدريب الروحى ، معتمدا على قوته الخاصة ، فانه يخطىء ولا شك • جيد أن يدرب كل انسان نفسه ، ولكن معتمدا على قوة الله ، مردداً قول بولس الرسول « أستطيع كل شىء فى المسيح الذى يقوينى » (فى ٤ : ١٣) •

وبولس الرسول يتحدث عن تداريبه فيقول فى سفر الأعمال « كذلك أنا أيضا أدرب نفسى ، ليكون لى دائما ضمير بلا عثرة من نحو الله والناس » (أع ٢٤ : ١٦) • ويقول فى

رسالته الى فيلبى « وفى جميع الأشياء **قد تدربت أن أشبع وأن أجوع** ، وأن أستفضل وأن أنقص » (فى ٤ : ١٢) ... لقد تدرب فى كل شيء ، وأصبحت له الحواس مدربة (عب ٥ : ١٤) .

لا مانع اذن من أن يستخدم المؤمن التداريب الروحية ، بل أن يصلى الى الله ويقول « دربنى فى حقك وعلمنى » (مز ٢٥:٩) . ولكن فى كل هذه التداريب يعتمد على قوة الله التى تعينه . وفى كل نجاح له ، ينسب الفضل لله وليس لشجاعته الخاصة وضبطه لنفسه .



الفصل الرابع

الثقة وضمان الملكوت

سؤالان يمران بأذهان الكثيرين :

١ ـ ما هى حدود الرجاء فى مراحم الله ؟

٢ ـ هل يحق للمؤمن أن يعتبر نفسه ضامنا للملكوت ؟

فما هى الاجابة عنهما ؟

ما هى حدود الرجـــاء فى مراحم الله ؟

١ ـ ثقة فى الله ، غير محدودة :

أنسأل : ما هى حدود الرجاء فى مراحم الله ؟ فى الواقع ، ليس لهذا الرجاء حدود . فبمقدار ما تكون مراحم الله ، هكذا يكون الرجاء فيها . **وما دامت مراحم الله غير محدودة ، هكذا أيضاً الرجاء فى مراحم الله غير محدود .**

ان الرجاء هو احدى الفضائل الثلاث الكبار (١كو ١٣:١٣) . وهو ـ ككل فضيلة ـ ينمو فى الانسان حتى يصل الى كماله النسبى فيه . ولا يبلغ الرجاء كماله ، الا اذا خلا من كل شك ، وتثبت بكل يقين .

وثقة الرجاء تأتى من أمرين: أحدهما يتعلق بالله ، والثانى بالانسان نفسه • أما عن الرجاء ـ من جهة الله ـ فهو يبنى على الايمان بصفات الله ، ومعاملاته السابقة ، وكفارة دمه ، وصدق مواعيده •

ومن صفات الله انه غير محدود فى رحمته وشفقته ومغفرته ومحبته ، وانه لا يسر بموت الخاطىء ، بل بأن يرجع ويحيا (حز ١٨ : ٢٣) • ومعاملات الله السـابقة تثبت لنا هذه الصفات ••• وكفارة دمه غير محدودة ، كافية لغفران خطايا العالم كله من أول الدهور الى آخرها • أما وعوده فهى كثيرة وصادقة تفتح أبواب الرجاء واسعة أمام التائبين •

هذه هى احدى زوايا الرجاء • ومن ينظر منها الى الأبدية ، يشـبع أملا • أما الزاوية الأخـرى فهى الانسـان ذاته • فهل نظرة الانسان الى ذاته يمكن أن تجلب الثقة بأنه ضامن للملكوت ؟

ب ـ عدم ثقة بارادتنا الخاصة :

لست أميل الى الترتيلة التى تقول « انى واثق ••• » هى ترتيلة بروتستانتية بلا شك • وعلى الرغم من أن بعض ألفاظها سليمة وصحيحة ، الا أنهـا ـ فى مجموعها ـ تعطى تعليما بروتستانتياً غير سليم •

ان سألك أحد « هل أنت واثق ؟ » فبماذا تجيب ؟ •••

نعم ، أنا واثق بدم المسيح ، ثقة لا حدود لها • ولكنى لا أثق بنفسي • لا أثق بحرية ارادتي ، التي ربما تميل الى الشر • وبعدما بدأت بالروح ، ربما أكمل بالجسد (غل ٣:٣)

ولذلك فان الذين يفقدون الخلاص ، يفقدونه ليس بسبب أن الله عاجز عن أن يخلصهم ، وانما بسبب أن ارادتهم الحرة قد انحرفت نحو الشر •••

فهل يفقد الانسان الرجاء ؟ كلا ، فهذا تطرف وقع فيه قايين ـ أول خاطىء من بنى آدم ـ حينما قال « ذنبي أعظم من أن يحتمل » (تك ٤ : ١٣) • وفي قطع الرجاء وقع يهوذا أيضا ، اذ مضى وخنق نفسه (متى ٢٧ : ٥) •

وكما يخطىء الانسان اذا فقد الرجاء ، يخطىء أيضاً اذا اعتمد على رجاء كاذب مبنى على بره الذاتى • ويخطىء كذلك اذا كان في اعتماده على دم المسيح ، ينسى اجتهاده واحتراسه، ولا يفعل ما يجعله مستحقاً لفاعلية دم المسيح •••

ويخطىء من يظن أنه لا صلة له بالخطية على الاطلاق ، وأنه قد تجدد وقد تقدس وأصبح في حياة اخرى لا يمكن فيها أن يخطىء • هذا ايضاً رجاء كاذب • ويختفي وراءه لون من البر الذاتي ، سواء كان يدرى به صاحبه أو لا يدرى •••

اننا نثق بدم المسيح ، ونثق بكفاية كفارته وفدائه •

ولكننا ـ في داخل انفسنا ـ نعترف بأننا خطاة ، ونعترف بأنه ما أسهل أن تضيعنا خطيئتنا ...

ان الذى يقول « أنا ضامن للملكوت » ، كأنه يقول : « أنا ضامن اننى سوف لا أخطىء . وان أخطأت ، فأنا ضامن اننى سوف أتوب توبة صادقة مقبولة !! » أو لعل مثل هذا يحتج على كلامى ويقول : كلا ، سوف لا أتحدث عن التوبة . وانما ان اخطأت « فلنا شفيع عند الآب ، يسوع المسيح البار، وهو كفارة عن خطايانا » (ايو ٢ : ١ ، ٢) ...

نعم ، يأخى . هو كفارة عن خطايانا . ولكنه هو أيضاً الذى قال « ان لم تتوبوا ، فجميعكم كذلك تهلكون » (لو ١٣ : ٣) . هل تظن أنه سيشفع فيك دون أن تتوب ؟! كلا ، ان هذا وهم باطل . فاهتم بأبديتك اذن ، وتب . واعرف أن الذى لا يتوب ، سوف لا يشفع المسيح فيه . وانما ينذره قائلا : « احفظ ، وتب . فانى ان لم تسهر ، اقدم عليك كلص ، ولا تعلم أية ساعة اقدم عليك » (رؤ٣:٣).

تواضع اذن يأخى . واستمع الى قول بولس الرسول منذراً « ... اذن من يظن أنه قائم ، فلينظر أن لا يسقط » (اكو ١٠ : ١٢) .

انك لست أقوى من الذين سقطوا ، بل ربما لم تصل الى شيء من درجتهم بعد ، قبل سقوطهم . انظر ماذا يقول بولس

الرسول ، وتمعن جيداً فى الصفات التى يوردها • انه يقول « لأن الذين استنيروا مرة ، وذاقوا الموهبة السمائية ، وصاروا شركاء الروح القدس، وذاقوا كلمة الله الصالحة وقوات الدهر • الآتى ، وسقطوا ••• » [عب ٦ : ٤ ـ ٦] •

يا للهول ، ويا للخوف !! هل وصلت يامن تضمن الملكوت الى هذه الدرجات العالية التى كانت لأولئك ؟! هل استنرت، وصرت شريكاً للروح القدس، وذقت الموهبة السماوية وكلمة الله الصالحة وقوات الدهر الآتى ؟! **ومع ذلك فان الذين نالوا كل هذه المواهب قد سقطوا • ولم يسقطوا فقط بل هلكوا •** لأن الرسول يقول انه « لا يمكن تجديدهم أيضاً للتوبة » ويشبههم بأرض « مرفوضة وقريبة من اللعنة ، التى نهايتها الحريق » (عب ٦ : ٦ ، ٨) •

جـ ـ هل خلصت أم لم تخلص ؟

قال لى أحد الشبان : « بماذا أجيب اذن ، ان سألنى شخص قائلا « هل خلصت أم لم تخلص ؟ » •••

أولا يجب أن تدرك أن من يسألك هكذا ليس ارثوذكسياً خالصاً • لابد أن يكون بروتستانتى المذهب ، أو على الاقل بروتستانتيا فى بيئته وثقافته • لأن الذى يتجاهل معموديتك ، وما نلته من الأسرار المقدسة ، ويلقى فى نفسك الشك فى

ايمانك ، ويدعوك من الآن الى الايمان والى الخلاص ، كما لو كنت وثنياً فى حيـاتك السابقة !! مثل هذا ، لا يمكن أن يكون أرثوذكسياً ، فلغته تظهره ٠

أما الاجابة على سـؤاله فهى : نعم ، اننى خلصـت فى المعمودية من الخطية الأصلية ، الخطية الجدية الموروثة ٠ نلت هذا الخلاص الأول بدم المسيح وفاعلية كفارته وفدائه ٠ أما الخلاص النهائى ، فننناله بعد أن نخلع هذا الجسد ٠ اننا ما نزال فى حرب ، « ومصارعتنا ليست مع دم ولحم ، بل مع ٠٠٠٠ اجناد الشر الروحية » (اف ٦ : ١٢) ٠ وسننال الخلاص عندما نغلب وننتصر فى هذه الحرب ٠٠٠ ٠

وطالما نحن فى الجسد ، لا نستطيع أن نقول اننا انتصرنا وخلصنا ٠٠٠ لذلك فالكنيسة المقدسة لا تعيد للقديسين فى يوم ميلادهم الجسدى ، ولا فى يوم انضمامهم الى الكنيسة ، وانما فى يوم نياحتهم ، أو استشهادهم ، عملا بقول الكتاب « انظروا الى نهاية سيرتهم ، فتمثلوا بايمانهم » (عب ١٣:٧) . وهكذا فى مجمع القديسين فى القداس الالهى ، نذكر نفوس جميع الأبرار الذين كملوا فى الايمان ، أو اكتملت حياتهم فى الايمان ٠٠٠

نذكر هنا قصة نياحة القديس العظيم الأنبا مقاريوس الكبير ، الذى طاردت الشياطين روحه بعد خروجها من الجسد ،

قائلين له « خلصت يا مقاره » • وكيف أنه لم يقل لهم « نعم ، بنعمة المسيح خلصت » الا بعد أن دخل الى الفردوس •

د ـ لتكن اجابتكم من ايمان الكنيسة :

ان سئلتم سؤالا عقيدياً ، فلا تجيبوا مطلقا معتمدين على فكركم الخاص أو فهمكم الخاص • فقد قال الكتاب « على فهمك لا تعتمد » (ام ٣ : ٥) •

انت ابن الكنيسة القبطية الارثوذكسية ، جاوب اذن بايمان الكنيسة القبطية الارثوذكسية • ايمانها كما يظهر فى كتبها الكنسية المعترف بها ، وكما يظهر فى أقوال آبائها ، وفى قوانينها وتقاليدها • وسأنظر الآن الى كتابين هامين من كتب الكنيسة هما الخولاجى المقدس والأجبية ، وأرى ماذا يعلماننا فى موضوعنا هذا •••

انك تصلى كل يوم فى صلاة الغروب وتقول « اذا كان البار بالجهد يخلص ، فأين أظهر أنا الخاطىء » • « احسبنى يا الله مع أصحاب الساعة الحادية عشرة ، لأنى أفنيت عمرى فى اللذات والشهوات ، وقد مضى منى النهار وفات » « لكل اثم بحرص ونشاط فعلت ، ولكل خطية بشوق واجتهاد ارتكبت ، ولكل عذاب وحكم استوجبت » •

هل فى عبارة واحدة من كل هذا ، ما يدل على أنك قد

خلصت وضمنت الملكوت وانتهى الأمر . أم هى صلوات من نفس منسحقة معترفة بخطاياها ، معترفة بأنها تستحق كل عقوبة ، طالبة الرحمة من الرب ؟ ...

بنفس هذا الانسحاق تقف أمام الله فى صلاة النوم وتقول « هوذا أنا عتيد أن أقف أمام الديان العادل مرعوب ومرتعب من أجل كثرة ذنوبى ، لأن العمر المنقضى فى الملاهى يستوجب الدينونة . لكن توبى يانفسى مادمت فى الجسد ساكنة ... » . وتوبخ نفسك قائلا « اذا انكشفت أفعالك الرديئة وشرورك القبيحة ، أمام الديان العادل ، فأى جواب تجيبى ، وأنت على سرير الخطايا منطرحة ، وفى اخضاع الجسد متهاونة !؟ » ..

انه انسحاق العشار الواقف أمام الله فى ذلة ، وليست كبرياء الفريسى... اننا لا نقف كأبرار قد تجددوا وتقدسوا، ونالوا الخلاص ، وضمنوا الملكوت انما فى كل صلاة نعترف باستحقاقنا للدينونة ونطلب الخلاص ...

وهكذا فى صلاة « تفضل يا رب » فى صلاة النوم ، يتضرع كل منا قائلا : « أنا طلبت الى الرب وقلت : ارحمنى وخلص نفسى ، فانى اخطأت اليك . التجأت يا رب اليك ، فخلصنى ، وعلمنى أن أصنع مشيئتك » .

وصلاة الساعة السادسة نستهلها بقول المزمور « اللهم

باسمك خلصني » (مز ٥٣ : ١) • ونقول فيها « مزق صك خطايانا ، ايها المسيح الهنا ونجنا » •

وهكذا تعلمك الكنيسة أن تتضرع الى الرب كل يوم أن يمزق صك خطاياك ، مختتما هذه القطعة من الصلاة بقولك « كلامي اقوله ، فيسمع صوتي ، ويخلص نفسي بسلام » •

انك نلت خلاصاً في المعمودية من خطيئتك الأصلية ، ومات انسانك العتيق ، عندما مت مع المسيح ودفنت معه • ولكنك مع ذلك ، ما تزال تخطيء كل يوم • وان قلت انك لا تخطيء تضل نفسك ولا يكون الحق فيك (ايو ١ : ٨) •

انت تخطيء كل يوم ، واجرة الخطية الموت • اذن فأنت تتعرض للموت كل يوم • وتحتاج في كل يوم الى الخلاص • تحتاج الى دم المسيح يومياً ليطهرك من كل خطية • لذلك تحتاج باستمرار الى أن تعترف بخطاياك ، وتتوب ، وتتناول من جسد الرب ودمه الذى « يعطى عنا خلاصاً ، وغفراناً للخطايا ، وحياة أبدية لكل من يتناول منه » حسبما تعلمنا صلوات القداس الالهى •

انه خلاص اذن يتجدد باستمرار ، تطلبه كل يوم ، وتأخذه في كل توبة ، وفي كل تحليل يصليه الكاهن على رأسك ، وفي كل تناول من جسد الرب ودمه •

نرجع بعد هذه المقدمة الى موضوع الثقة وضمان الملكوت •

أُسس الثقة وشروطها

كما يشرحها يوحنا الرسول

ثقة بولس ويقينه :

الذين يتكلمون عن ضمان الملكوت ، يعتمدون أولا على قول بولس الرسول « فاذ لنا أيها الأخوة ثقة بالدخول الى الأقداس بدم المسيح ••• » (عب ١٠ : ١٩) وكذلك قوله عن نفسه « لأنني عالم بمن آمنت ، وموقن أنه قادر أن يحفظ وديعتى الى ذلك اليوم » (٢ تى ١ : ١٢) • وقوله أيضاً « واخيراً وضع لى اكليل البر » (٢ تى ٤ : ٨) • وغير ذلك من النصوص المقدسة التى يعتمد عليها الكثيرون **قائلين انهم يعيشون فى « يقين بولس » !! •**

وسوف نتناول بنعمة الرب كل تلك النصوص بالشرح والتعليق فى الصفحات المقبلة ان شاء الله •

غير أننا نود أن نفهم أولا على أى أساس تبنى هذه الثقة • لذلك لسنا نجد ـ فى مقدمة موضوعنا هذا ـ خيراً من التوضيح الجميل الذى قدمه لنا معلمنا يوحنا الرسول ، عن شروط الثقة واسبابها واساسها •

فما هى الأسس التى تحدث عنها يوحنا الرسول ؟

١ — شرط راحة الضمير :

يقول القديس يوحنا الرسول « أيها الأحباء ، ان لم تلمنا قلوبنا ، فلنا ثقة من نحو الله » (ايو ٣ : ٢١) . هنا شرط: ان لم تلمنا قلوبنا . أي ان كان ضميرنا لا يلومنا أو لا يبكتنا على شيء . ان كنا لا نخطيء في شيء يجعل قلوبنا تلومنا ..

مصدر الثقة هنا اذن ، وأساسها الذى تبنى عليه ، هو أن قلوبنا تكون راضية من جهة علاقتنا بالله ، لا تلومنا على شيء . أما اذا لامتنا ، فان الثقة بالتالى تتزعزع بلا شك .

اذن تأتي الثقة من راحة الضمير . وكيف تأتي راحة الضمير هذه ؟ يوضح القديس يوحنا هذه الفكرة فيقول « ان لم تلمنا قلوبنا فلنا ثقة من نحو الله . ومهما سألنا ننال منه ، لأننا نحفظ وصاياه ، ونعمل الأعمال المرضية أمامه » (١ يو ٣ : ٢١ ، ٢٢) .

لقد اتضح اذن مصدر هذه الثقة . وهو أننا نحفظ وصايا الله ، ونعمل الأعمال المرضية أمامه . هذا هو حجر الزاوية في التعليم . طالما نحن نحفظ وصايا الله ونعمل الأعمال المرضية أمامه ، فان ضميرنا يكون مستريحا ، ولا يوجد شيء تلومنا قلوبنا عليه ، وحينئذ يكون لنا ثقة من نحو الله .

ماذا قال معلمنا يوحنا الرسول أيضا ؟

٢ — شرط الثبات فى المسيح :

يقول « والآن أيها الأولاد ، اثبتوا فيه . حتى اذا أظهر، يكون لنا ثقة ، ولا نخجل منه في مجيئه . ان علمتم أنه بار هو ، فاعلموا أن كل من يصنع البر مولود منه »
(١ يو ٢ : ٢٨ ، ٢٩)

هنا شرط آخر للثقة ، وهو أن نكون ثابتين فى المسيح. فان لم نثبت فى المسيح ، لا تكون لنا ثقة ، ونخجل منه فى مجيئه ... انه تعليم واضح .

هل تقول اذن : أنا خلصت ، انى واثق ، أنا ضامن للملكوت !! بينما ضميرك يوبخك على سلوك معين ، أو أنت غير ثابت فى المسيح ... حينئذ تكون فى موقف من يخدع نفسه ، أو من يتكلم كلاماً فى الهواء ...

أتريد أن تكون لك ثقه ؟ اثبت فى المسيح . وان أردت أن تعرف ما معنى الثبات فيه ، تعال بنا نسأل الكتاب ونسترشد به :

يقول بولس الرسول « فاثبتوا اذن فى الحرية التى قد حررنا المسيح بها ، ولا ترتبكوا أيضا بنير عبودية » (غل٥:١) أى لا تسمح لأية خطية أن تستعبدك .

وماذا أيضاً فى معنى الثبات ؟

يقول يوحنا الرسول موضحا« كل من يثبت فيه لايخطىء. كل من يخطىء ، لم يبصره ولا عرفه » (١ يو ٣ : ٦) .
اذن ان كنت تخطىء ، فأنت غير ثابت فيه . وان كنت غير ثابت فيه ، فلا تكون لك ثقة . وحينئذ تخجل منه في مجيئه.

ما أسهل اذن أن تقول انى واثق ، أو تقول انى ضامن للملكوت ، دون أنْ تقدر ما يقوله الكتاب فى شرح معنى هذه الثقة ، التى تتطلب منك أن لا تخطىء ...

يؤكد يوحنا الرسول هذا المعنى ، فيقول فى نفس رسالته **« من يحفظ وصاياه يثبت فيه ، وهو فيه » (١ يو ٣ : ٢٤). هذا هو الثبات المتبادل ، يأتى عن طريق حفظ الوصايا .**

ولكن الى أية درجة يحفظ الانسان الوصايا ؟ يجيب الرسول :

« من قال انه ثابت فيه ، ينبغى أنه كما سلك ذاك ، يسلك هو أيضا » (١ يو ٢ : ٦) .

من يجرؤ بعد هذا النص الصريح أن يقول انه ثابت فى الرب ؟! وان كنا غير ثابتين ، فكيف اذن تكون لنا ثقة ، ولا نخجل منه فى مجيئه ...

اذن بدلاً من عبارة انى واثق ، وانى ضامن ، يحسن بعد هذا كله ، أن نقف مع العشار المنسحق ، ليقرع كل منا قلبه ويقول « ارحمنى يا رب فانى خاطىء » (لو ١٨ : ١٣) .

تستطيع أن تقول انك واثق وانك ضامن الملكوت ، ان كنت على الدوام ثابتا فى المسيح ، كما سلك هو تسلك أنت أيضا • أو على الأقل ان كنت على الدوام تحفظ وصاياه ، وتفعل فى كل حين ما يرضيه • لأن الرسول يقول « وأما الذى يصنع مشيئة الله ، فيثبت الى الأبد » (١ يو ٢ : ١٧)• ويقول أيضا « ان ثبت فيكم ما سمعتموه من البدء ، فأنتم أيضا تثبتون فى الابن وفى الآب » (١ يو ٢ : ٢٤) •

ورب المجد نفسه يشرح لنا أهمية الثبات فيه ، فيقول « ان كان أحد لا يثبت فى ، يطرح خارجا كالغصن ، فيجف ويجمعونه ويطرحونه فى النار فيحترق » (يو ١٥ : ٦) •

أتريد اذن أن تثبت فيه كالغصن ، وتسرى فيك عصارة الكرمة فلا تجف ، ولا تلقى الى النار فتحترق ، اسمع الرب يقول « من يأكل جسدى ويشرب دمى ، يثبت فى وأنا فيه » (يو ٦ : ٥٦) • وماذا أيضا يا رب ؟ يقول « ويحيا الى الأبد» (يو ٦ : ٥٨) •

اذن فمن شروط الثقة : راحة الضمير ، والثبات فى الرب ، بكل ما يحمل هذان الشرطان من تفاصيل • فما هو الشرط الثالث اذن ؟ انه :

٣ ـ شرط المحبة الكاملة :

قال الرسول انه من ضمن شروط الثقة، أن يثبت الانسان فى الله . ولكى يثبت فى الله ، ينبغى أن يثبت فى المحبة ، لأن الله محبة . وهكذا قال القديس يوحنا الحبيب « الله محبة . من يثبت فى المحبة ، يثبت فى الله ، والله فيه » (١يو ٤:١٦)

فان ثبت الانسان فى محبة الله ، وتكاملت محبته ، حينئذ تكون له ثقة . ولهذا يتابع الرسول كلامه فيقول « بهذا تكملت المحبة فينا ، أن يكون لنا ثقة فى يوم الدين » (١ يو ٤ : ١٧)

وكيف نثبت فى محبة الله ؟ يقول الرب نفسه « ان حفظتم وصاياى ، تثبتون فى محبتى ، كما انى أنا قد حفظت وصايا أبى واثبت فى محبته » (يو ١٥ : ١٠) . لكى نصل اذن الى المحبة الكاملة التى تجلب الثقة ، علينا بلا شك أن نكون كاملين فى حفظ وصاياه .

وطبيعى اننا ان وصلنا الى هذه الثقة كنتيجة للمحبة الكاملة ، حينئذ لا نخاف بل نطمئن . ولهذا يتابع الرسول كلامه فيقول « لا خوف فى المحبة . بل المحبة الكاملة تطرح الخوف الى خارج »(١ يو ٤ : ١٨) .

فهل وصلت أيها الأخ الى المحبة الكاملة ؟ هل أصبحت تحب الرب من كل قلبك ، ومن كل فكرك ، ومن كل قدرتك ؟

وهل فى محبتك الكاملة لله أصبحت تبغض العالم بكل ملاذه وشهواته وأمجاده ، وتبغض حتى نفسك ؟ ان كنت كذلك ، وان استمر الحال بك كذلك ، فطوباك • **لك أن تثق ، طالما أنت ثابت فى هذه المحبة الكاملة •**

كلمة ختامية :

اذن فالثقة كما يشرحها معلمنا القديس يوحنا الرسول ، لهـا شروط • ومن شروطها أن يحفظ الانسان وصـــايا الله ويعمل كل حين ما يرضيه ، حتى يرتاح بذلك ضميره ، ولا يلومه قلبه على شيء • ومن شروطها الثبات فى المسيح ، بكل ما تحمله هذه العبارة من معنى • ومن شروطها الوصول الى المحبة الكاملة من نحو الله ، حتى تستـــطيع المحبة أن تطرح الخوف الى خارج •

ان وصل الانسان الى هـذه الدرجات ، تكون له الثقـة الكاملة ، ويصل الى « يقين بولس » الذى يتغنون به ، والذى سنشرحه الآن •

صـــدقونى ، ان كثيراً من الذين يقولون انهم واثقـون وضـامنون ، تفـكيرهم سطحى جداً ، ولم يصلوا الى الفهم الحقيقى لمعنى هذه الثقة كما شرحها القديس يوحنا الرسول •

الثقة واليقين

فى رسـائل بولس الرسول

١ـ يقين بولس وإكليله :

يقولون انهم واثقون من الخلاص لأن بولس الرسول قد قال « وأخيرا وضع لى أكليـل البر » (٢ تى : ٤ : ٨) • وأيضا لأنه قال « لأننى عالم بما آمنت ، وموقن أنه قادر أن يحفظ وديعتى الى ذلك اليوم » (٢ تى ١ : ١٢) •

أ ـ من قال هذا الكلام ؟ :

أول شيء ينبغى أن نعرفه هو : من قال هذه العبارات ؟ لقد قالها بولس الرسول وهو من أكبر الرسل بلا منازع • بولس الذى قال « مع المسيح صلبت ، فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فى » (غلا ٢ : ٢٠) • بولس الذى قال « فانى متيقن أنه لا موت ولا حياة ، ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قـوات ، ولا أمور حاضرة ولا مسـتقبلة ، ولا علو ولا عمق ، ولا خليقـة أخرى ، تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التى فى المسيح يسوع ربنا » (رو ٨ : ٣٨ ، ٣٩) •

لقد قال هـذا الـكلام بولس الذى اختطف الى السـماء

الثـــالثة ... الذى أشـفق الله عليـه من فرط الاعـلانات (٢ كو ١٢ : ٢ ، ٧) ...

فهل أنت أيها الواثق تشبه بولس الرسول فيما وصل اليه من سمو وروحانية ونعمة ؟! لا يجـوز مطلقا أن تأخـذ حالة القديسين وتنسبها الى نفسك . ان كان بولس موقنا ، فليس معناه أنك كذلك ... ثم هناك نقطة أخرى وهى :

ب ـ متى قال القديس بولس هذا الكلام ؟ :

قال مار بولس هذه العبارات وهـو فى أواخـر أيامه . لذلك قال قبلها مباشرة « فانى أنا الآن أسكب سكيبا ، ووقت انحلالى قد حضر » (٢ تى ٤ : ٦) . وقال هذا أيضا بعـد أن « جاهد الجهاد الحسن ، وأكمل السعى ، وحفظ الايمان » (٢ تى ٤ : ٧) .

ولا مانع مطلقـا ـ بالنســبة الى انسان بار قديس فى أواخر أيامه ـ أن يعطيه الرب ثقة ورجاء ، أو أن يجعله يرى الاكليل الذى ينتظره ، كما كان بعض الشهداء يرون أكاليلهم قبل سفك دمائهم من أجل المسيح .

ومع ذلك فلنفحص هاتين العبارتين بالتدقيق ، ونرى على أى شىء يدلان .

ج ـ « انى موقن أنه قادر » :

يقول بولس الرسـول انه موقن بأن الله قادر أن يحفظ

وديعته . فماذا تعنى هذه العبارة ؟ لا شك أن الله قادر على أن يحفظ وديعة أى انسان ، ولكن ماذا عن الانسان ذاته ؟ فى أى اتجاه تسير ارادته ؟

ان الله قادر ، وربما أنت لا تريد ... الله قادر أن يحفظ وديعتك ، وأنت ربما تلقيها بحرية ارادتك الى الجحيم ... ألم يقل « كم مرة أردت ... ولم تريدوا » (مت ٢٣ : ٣٧) .

ان قدرة الله أمر لا يشك فيه أحد . ولكن قدرة الله لا تلغى حرية ارادتك . بالنسبة الى مار بولس الرسول ، كانت حرية ارادته متفقة اتفاقا كاملا مع قدرة الله على حفظ وديعته . فهل أنت كذلك ؟!.

نتناول بعد هذا العبارة الأخرى التى قالها الرسول :

د ـ « أخيرا وضع لى اكليل البر » :

قال بولس الرسول « وأخيرا قد وضع لى اكليل البر الذى يهبه لى فى ذلك اليوم الرب الديان العادل » . قال ان الاكليل قد وضع ، ولم يقل انه قد أخذ الأكليل ، فالاكليل موضوع يأخذه البار فى ذلك اليوم .

وكم من أشخاص وضع لهم هذا الاكليل وفقدوه . لذلك ينذر الرب ملاك كنيسة فلادلفيا ، قائلا له « تمسك بما عندك ، لئلا يأخذ أحد اكليلك » (رؤ ٣ : ١١)

هـ ـ ماذا قال الرسول في نفس رسالته ؟ :

ان بولس الرسول الذى قال العبارات السابقة فى رسالته الثانية الى تيموثيئوس ، قال أيضا فى نفس الرسالة « صادقة هى الكلمة انه ان كنا قد متنا معه ، فسنحيا أيضا معه • ان كنا نصبر ، فسنملك أيضا معه • **ان كنا ننكره فهو أيضا سينكرنا** • (٢ تى ٢ : ١١ ، ١٢) •

ففى قوله « ان كنا ••• » دليل على أن الأمر فى خلاصنا لا يتوقف على الله فقط ، بل علينا نحن أيضا • ان لله عملا فى خلاص الانسان ، كما أن للانسان عملا أيضا • ولو كان الأمر هو عمل الله وحده ، لزالت بذلك حرية الانسان •

كما نلاحظ أن عبارة « ان كنا ننكره ، فهو أيضا سينكرنا » دليل على أن الانسان يمكن أن يفقد خلاصه » •

٢ ـ الثقة بالدخول إلى الاقداس:

ان الذين يتحدثون عن ضمان الملكوت يعتمدون على قول بولس الرسول « فاذ لنا أيها الأخوة ثقة بالدخول الى الأقداس بدم يسوع ••• لنتقدم بقلب صادق فى يقين الايمان ، مرشوشة قلوبنا من ضمير شرير ، ومغتسلة أجسادنا بماء نقى » (عب ١٠ : ١٩ ـ ٢١)

ان هذا النص يتحدث عن ثقة الدخـول ويقين الايمان ، بشروط أساسية • فعبـارة « مرشوشة قلوبنا من ضـــمير شرير » تدل على ضرورة النقاوة والتوبة • وعبارة « مغتسلة أجسادنا بماء نقى » تدل على ضرورة المعمودية للخلاص •

فهل اكتفى القديس بولس بكلامه هذا ، وبهذين الشرطين فقط ؟ كلا ، **اننا ان قرأنا باقى كلامه ، نرى عكس ما يدعيه هؤلاء الواثقون!** يتابع الرسول كلامه فيقول « لنتمسك باقرار الرجاء راسخا ، لأن الذى وعد هو أمين » • ولنلاحظ بعضنا بعضا للتحريض على المحبة والأعمال الصالحة •

فما لزوم أهمية المحبة والأعمـال الصالحة فى موضـوع الثقة هذا ؟ ان القديس بولس يدلل بكلامه عـلى أن الثقة فى « الدخول الى الأقداس بدم يسوع » انما تعتمد عـلى أعمال الانسان وسلوكه أيضا ــ والا تزعزعت هـذه الثقة وانهارت انهياراً مريعاً •

ولذلك يتابع الرسول كلامه محذراً ومنذراً : « فانه ان أخطأنا باختيارنا ــ بعدما أخذنا معـرفة الحـق لا تبقى بعـد ذبيحة عن الخطايا ، بل قبول دينونة مخيف ، وغيرة نار عتيدة أن تأكل المضـــادين » (عب ١٠ : ٢٦ ، ٢٧) • **أين الثقـة اذن ، مع وجود هذه الدينونة المخيفة ، ان أخطأنا ؟ ألا يستلزم الأمر اذن غاية الاحتراس والحيطة** ، والســـلوك فى مخـافة وانسحاق ، ان كنا نريد أن نتقدم الى الاقداس فى ثقة •

ذلك لأن الرسـول الذى تحـدث عن هـذه الثقـة بدم المسيح ، نراه لا ينسى مطلقا عدل الله • بل يتابع كلامه قائلا « فاننا نعرف الذى قال لى الانتقـام أنا أجازى يقول الرب • وأيضـا الرب يدين شـعبه مخيف هـو الوقوع فى يدى الله الحى » (عب ١٠ : ٣٠ ، ٣١) •

ان هذا يذكرنا بما نعـرفه عن البروتستانت من خطورة استخدامهم للآية الواحدة • كان أجدر بهم فى معالجة هـذا النص المقدس من أقـوال مار بولس الرسول ، أن لا يأخـذوا الآية الأولى من الاصحاح مكتفين بهـا ، دون أن يتابعوا كلام الرسول حتى نهايته •

ليتهم فعلوا ذلك ، اذن لرأوه يقول أيضا فى موضـوع الثقة :

« **فلا تطرحـوا ثقتكم التى لهـا مجـازاة عظيمة ، لأنكم تحتاجون الى الصبر ، حتى اذا صنعتم مشـيئة الله تنـالون الموعد** » (عب ١٠ : ٣٥ ، ٣٦) • حقا « ان الذى وعد هـو أمين » ، ولكن نوال الموعد يتوقف على صنع مشيئة الله • فان كنا لا نصنع مشيئة الله ، فاننا بلا شك لا ننال الموعد ، ولا تكون لنا ثقة •

ما معنى هذا ؟ **هل معناه أن الله قد رجع فى هباته التى هى بلا ندامة (رو ١١ : ٢٩) ؟ • كلا ، ان هبات الله هى حقا**

بلا ندامة ، ولكن لها شروطاً • فاذا لم تنل هباته ، لا يكون هـو الذى رجع فى هبـاته ، وانما تكون أنت الذى خالفت الشروط • ان الله أمين فى وعـده • ولـكنه قال لنا عـلى فم رسـوله بولس « اذا صنعتم مشـيئة الله ، تنالون الموعـد » (عب ١٠ : ٣٦) •

وواضح أن عمل مشيئة الله يستغرق العمر كله • لذلك قال الرسول « لأنكم تحتاجون الى الصبر » • ومعنى هذا أن نصبر العمر كله فى عمل مرضاة الله ، حتى ننال مواعيده ••

يظهر من كلام القديس بولس الرسول فى هذا الاصحاح اذن أن « الثقة بالدخول الى الأقداس بدم يسوع » تحتاج الى أمور كثيرة : تحتاج الى قلب صادق ، وحياة توبة ونقـاوة ، وأجسـاد مغتسلة بمـاء المعمودية النقى ، كما تحتـاج الى التحريض على المحبة والأعمال الصالحة ، والى صنع مشيئة الله ، والصبر على كل ذلك ، والاحتراس من فعل الخطيئة ، والا فان أخطأنا باختيـارنا ، نتعرض لدينونة مخيفة ، ومخيف هـو الوقوع فى يدى الله الحى •

٣ـ الاجتهاد والصبر لحفظ الثقة :

ان الصبر الذى تحـدث عنه بولس الرسـول فى قـوله « فلا تطرحوا ثقتكم التى لهـا مجازاة عظيمة لأنكم **تحتاجون**

الى الصبر ، حتى اذا صنعتم مشيئة الله تنـالون الموعد » ، (عب ١٠ : ٣٥ ، ٣٦) • يعود فيتحـدث عنه مرة أخـرى قائلا :

« ••• لـكننا نشتهى أن كل واحـد منكم يظهر هـذا الاجتهاد عينه ليقين الرجاء الى النهـاية » (عب ٦ : ١١) • **اذن فيقين الرجاء يحتاج الى اجتهاد يظهره الانسان ، حتى النهاية** • والى ماذا أيضا ؟ يتابع الرسول كلامه فيقول « لكى لا تكونوا متباطئين ، بل **متمثلين بالذين بالايمـان والأناة** يرثون المواعيد » (عب ٦ : ١٢) •

هنا نرى بولس قد أضاف الى الايمان شيئا آخر ، هـو الأناة أى الصبر ، وقال ان بهما ننال المواعيد •••

ألم يقـل الرب من قبـل « بصـبركم اقتنوا أنفسكم » (لو ٢١ : ١٩) ؟ وقال أيضاً « من يصـبر الى المنتهى فهذا يخلص » (متى ٢٤ : ١٣) •

اننا نلنا خلاصا بالايمان في المعمودية•ولكن هذا الخلاص تتضافر قوى كثيرة ضده لكيما تفقدنا اياه : فضده ارادتنـا الضعيفة التى تميل كثيرا الى الشر ، وعدونا الذى « يجـول مثل أسد زائر يلتمس من يبتلعه هـو » (١ بط ٥ : ٨) • وضد خلاصنا أيضا الخطية التى « طرحت كثيرين جرحى، وكل قتلاها أقوياء » (أم ٧ : ٢٦) •

ونحن محتاجون فى كل ذلك أن « نحاضر بالصبر فى الجهاد الموضوع أمامنا » (عب ١٢ : ١) • ونظل هكذا صابرين الى نهاية سيرتنا • ولذلك يقول الكتاب « انظروا الى نهاية سيرتهم ••• » (عب ١٣ : ٧) •

٤ ـ الذى بدأ فيكم عملا، فهو يكمل :

ان الذين ينادون بالثقة وضمان الملكوت ، يعتمدون أيضا على قول القديس بولس الى أهل فيلبى « واثقا بهذا عينه ، أن الذى ابتدأ فيكم عملا صالحا ، يكمل الى يوم يسوع المسيح » (فى ١ : ٦) •

نعيد ما قلناه سابقا ان الله قادر أن يكمل فينا • ولكن ماذا عن موقفنا نحن ؟! ان الغلاطيين الأغبياء كان الله قد بدأ فيهم عملا صالحا ، ومع ذلك فان بولس الرسول يقول لهم : « أهكذا أنتم أغبياء ، أبعدما ابتدأتم بالروح ، تكملون الآن بالجسد » (غل ٣ : ٣) • انهم هنا هم الذين سيكملون بالجسد ولا يتركون له فرصة أن يكمل فيهم عملا صالحا •

أما من جهة أهل فيلبى ، فمع ثقة بولس الرسول ، نراه يصلى من أجلهم أن تزداد محبتهم ، ويزدادوا فى كل فهم ، لكى يكونوا « مخلصين وبلا عثرة الى يوم المسيح مملوئين من ثمر البر » (فى ١ : ٩ ـ ١١) • **فمع أن المسيح قادر أن يكمل، الا أن عليهم هم عملا ، أن يكونوا بلا عثرة حتى النهاية•**

كما أوصاهم قائلا « عيشوا كما يحق لانجيل المسيح » (فى ١ : ٢٧) ٠

وقال لهم انه « قد وهب لكم لأجل المسيح لا أن تؤمنوا به فقط ، بل أيضا أن تتألموا لأجله ٠ اذ لكم الجهاد عينه الذى رأيتموه فى والآن تسمعون فى » (فى ١ : ٢٩ ، ٣٠) ٠

فما معنى هذا كله ؟ ومادام الله سيكمل ما بدأه فيهم ، فما لزوم كل تلك النصائح : أن يزدادوا فى المحبة والفهم ، وأن يكونوا بلا عثرة ، مملوئين من ثمر البر ، وأن يعيشوا كما يحق لانجيل المسيح ، وأن يتألموا لأجله ، ويكون لهم نفس جهاد القديس بولس ؟!

ذلك لأنه كما أن على المسيح جانبا فى خلاصهم ، كذلك هم أيضا عليهم جانب يجب أن يتمموه ٠ لذلك قال لهم « تمموا خلاصكم بخوف ورعدة » (فى ٢ : ١٢) ٠ ان المسيح سوف لا يكمل العمل وحده ، وانما سيكمله بهم وفيهم ومعهم٠ **ان الله لا يأخذ الناس عنوة ويلقيهم فى الملكوت ، وانما لابد أن يعملوا معه ٠**

ولذلك نجد أن الرسالة الى فيلبى هى أكثر رسالة يقول فيها بولس الرسول انه يسعى لكى يدرك (فى ٣ : ١٢ ، ١٤) ٠

وقد شرح لهم بولس فى نفس الرسالة مثالا من أولئك الذين بدأوا ولم يكملوا حسنا ، فكانت نهايتهم الهلاك ٠ وأصبح الرسول يذكرهم باكياً ٠ وقد طلب منهم بولس

الرسول أن يتمثلوا به فى سعيه وجهاده ولا يتمثلوا بأولئك الهالكين (فى ٣ : ١٧) ٠

كلمة ختامية فى موضوع الثقة :

ما أجمل قول سليمان الحكيم فى هذا المجال « الحكيم يخشى ويحيد عن الشر، والجاهل يتصلف ويثق » (أم ١٤:١٦) لذلك فان معلمنا بولس الرسول ينصح قائلا « لا تستكبر بل خف » (رو ١١ : ٢٠) ٠ وقد نصح أهل فيلبى قائلا « تمموا خلاصكم بخوف ورعدة » (فى ٣ : ١٢) ٠ ويضم بطرس الرسول صوته الى هذه النصيحة قائلا « ان كنتم تدعون أباً الذى يحكم بغير محاباة حسب عمل كل واحد ، فسيروا زمان غربتكم بخوف » (ابط ١ : ١٧) ٠

مادامت هناك ثقة ، وهناك يقين ، وهناك ضمان للملكوت، فما معنى الخوف اذن والرعدة ؟! لماذا لا يعتمد الانسان على وعود الله ويطمئن ؟ نعم اننا نطمئن من جهة وعود الله ، ولكننا لا نطمئن من جهة أنفسنا ٠

ولذلك مزج الرسول الحديث عن المواعيد الالهية بالحديث عن المخافة ، فقال « فاذ لنا هذه المواعيد أيها الأحباء ، لنطهر ذواتنا من كل دنس الجسد والروح ، مكملين القداسة فى خوف الله » (٢ كو ٧ : ١) ٠

الفصل الخامس

هل يمكن أن يهلك المؤمن ؟

يمكن أن يسقط المؤمن :

لعل من أشهر الأمثلة على ذلك بعض ملائكة الكنائس السبع التى فى آسيا ، هؤلاء ولا شك كانوا مؤمنين . وقصص سقوطهم سنشرحها فى الصفحات المقبلة ان شاء الله .

وما أسهل أن نورد العديد من الأمثلة عن الأنبياء والقديسين الذين سقطوا . على أننا سوف لا نطيل فى هذه النقطة لأن غالبية جماعات البروتستانت وخلاص النفوس والبليموث ، يوافقون على أن المؤمن يمكن أن يسقط . ولكنهم يقولون أنه لا يمكن أن يهلك .

فلتكن هذه النقطة الأخيرة (امكانية هلاك المؤمن) هى موضوع بحثنا واثباتنا .

كلمة « مؤمن » وكلمة « مختار » :

ان المختارين كلهم من المؤمنين ، ولكن المؤمنين ليسوا كلهم مختارين ، فقد يسقط بعضهم ويهلك . ومغالطة البروتستانت هى أنهم ـ كلما نورد لهم قصة مؤمن هلك ـ يجادلون قائلين

كلا انه لم يكن مؤمنا • لو كان مؤمنا ، ما كان قـد هلك •
[انظر الفرق بين عبارتى المؤمنين والمختارين ص ٣٣ ـ ٣٦]
وسنحاول فى هـذا البحث أن نثبت اثباتا قاطعا ايمان كل
مثل الأمثلة التى نوردها لمن هلكوا •

الإثبات الأول

رو ١١ ، يو ١٥

مثال الغصن الذى يقطع :

بعد أن شبه بولس الرسول اليهود بأغصان طبيعية قد قطعت من أصل الزيتونة ودسمها ، قال « ستقول : قطعت الأغصان لأطعم أنا • حسنا ، من أجل عدم الايمان قطعت ، وأنت بالايمان ثبت » (رو ١١ : ١٩ ، ٢٠) • واضح هنا أنه يكلم مؤمنا ، قد ثبت فى الزيتونة ، وطعم فيها ، وصار شريكا فى أصل الزيتونة ودسمها » (رو ١١ : ١٧) • فماذا تراه يقول لهذا المؤمن ؟

انه يقول لهذا المؤمن « لا تستكبر بل خف • لأنه ان كان الله لم يشفق عـلى الأغصـان الطبيعية فلعله لا يشفق عليك أيضا • فهو ذا لطف الله وصرامته • أما الصرامة فعلى الذين سقطوا • وما اللطف فلك ، ان ثبت فى اللطف • والا فأنت أيضا ستقطع » (رو ١١ : ٢٠ ـ ٢٢) •

والعبارة الأخيرة « أنت أيضا ستقطع » ، هى انذار لهذا المؤمن بامكانية هلاكه ، ان لم يثبت فى لطف الله •

● يشبه هذا المثال ما قاله السيد المسيح فى تشبيه نفسه بالكرمة ، وتشبيهنا نحن بالأغصان • فالأغصان التى فى الكرمة تدل على المؤمنين ولا شك • لأن الغصن هو عضو من أعضاء الكرمة ، تسرى فيه عصارتها • فهل يمكن أن يهلك

يقول السيد الرب « كل غصن فى لا يأتى بثمر ينزعه ••• ان كان أحد لا يثبت فى ، يطرح خارجا كالغصن ، فيجف ، ويجمعونه ويطرحونه فى النار ، فيحترق » (يو ١٥ : ٢ ، ٦) • وهذا معناه أن مثل هذا المؤمن غير المثمر سيهلك لا محالة •

الإثبات الثانى

(عب ٣ و عب ٤) •

مثال الشعب العاصى فى البرية :

يتحدث مار بولس الرسول فى هذين الاصحاحين الى « الاخوة القديسين ، شركاء الدعوة السمائية » (عب ٣ : ١) • فهل هؤلاء القديسون كانوا من المؤمنين ، أم لم يكونوا ؟ طبيعى أنهم كانوا مؤمنين ولا شك • هؤلاء يحذرهم الرسول من الارتداد عن الله الحى » (عب ٣ : ١٢) • وطبعاً التحذير من الارتداد انما يوجه الى المؤمنين ، وليس الى غير المؤمنين •

هؤلاء الاخوة القديسون ، المؤمنون ، شركاء الدعوة السمائية ، يقول لهم الرسول « لذلك كما يقول الروح القدس : **اليوم ان سمعتم صوته ، فلا تقسوا قلوبكم ، كما في الاسخاط** يوم التجربة في القفر » (عب ٣ : ٧ ، ٨) • فما هو يوم الاسخاط هذا ؟ وما الذى حدث فيه ؟ وعلى أى شيء يدل في قضيتنا هذه ؟

ان الذين أسخطوا الرب ، هم الشعب العاصى في البرية ، الذين مقتهم الرب أربعين سنة وقال « أقسمت في غضبى : لن يدخلوا راحتى » (عب ٣ : ١١) • وهكذا هلكوا في البرية ، وسقطت جثثهم في القفر •

هؤلاء الذين سقطوا ، الذين أقسم الله أنهم لن يدخلوا راحته ، الذين أسخطوا الرب في القفر ، هل كانوا قد نالوا الخلاص قبلا أم لم ينالوه ؟ يجيب بولس الرسول فيقول « فمن هم الذين اذ سمعوا أسخطوا ؟ أليس جميع الذين خرجوا من مصر بواسطة موسى » (عب ٣ : ١٦) •

انهم نالوا الخلاص الأول : أنقذهم الرب من العبودية ، وشق لهم البحر الأحمر ، واجتازوا في وسط الماء ـ الذى يرمز الى المعمودية ـ وعبروا البحر • ولكنهم مع كل ذلك هلكوا في القفر ، وفقدوا الخلاص الذى نالوه ، وأقسم الرب أنهم لن يدخلوا راحته •

أليس هؤلاء يقدمون مثالا واضحاً عن المؤمنين الذين

يهلكون ؟ ان هؤلاء العصاة يمثلون بلا شك الذين يرتدون بعد الايمان فيهلكون · وقد هلكوا بسبب العصيان · وأرض الموعد دخلها أناس آخرون · « والذين بشروا أولا ، لم يدخلوا بسبب العصيان » (عب ٤ : ٦) ·

هذا العصيان الذى يمنع من الدخول الى راحة الرب ، يحذرنا منه الرسول قائلا « فلنجتهد أن ندخل تلك الراحة ، لئلا يسقط أحد فى عبرة العصيان هذه عينها » (عب ٤ : ١١)

بل انه يقول أكثر من هذا « فلنخف أنه مع بقاء وعد بالدخول الى راحته ، يرى أحد منكم أنه قد خاب منه » (عب ٤ : ١) ·

ان قصة هذا الشعب العاصى الذى فقد خلاصه الأول وهلك انما أعطيت لنا مثالا لنتعظ ، وندرك أنه من الممكن أن يفقد المؤمن خلاصه · « وهذه الأمور جميعها اصابتهم مثالا ، وكتبت لانذارنا ، نحن الذين انتهت الينا أواخر الدهور · اذن من يظن أنه قائم فلينظر لئلا يسقط » (اكو ١٠ : ١١ ، ١٢) ·

● ان قصة هلاك هذا الشعب العاصى ، تذكرنا بامرأة لوط **التى خلصت من سدوم وهلكت خارجها** · لذلك يقول الكتاب « اذكروا امرأة لوط » (لو ١٧ : ٣٢) ·

الإثبات الثالث

(عب ١٠ : ١٩ - ٣٢)

ان أخطأنا باختيارنا ، بعد معرفة الحق :

يتكلم بولس الرسول مع نفس « الاخوة القديسين شركاء الدعوة السمائية » (عب ٣ : ١) ، الذين بعدما أنيروا صبروا على مجاهدة الآم كثيرة ، والذين رثوا لقيود الرسول ، وقبلوا سلب أموالهم بفرح ، عالمين فى أنفسهم أن لهم مالا أفضل فى السموات وباقيا (عب ١٠ : ٣٢ ، ٣٤) ٠ فماذا يقول لهؤلاء الذين يبدأ حديثه معهم قائلا « اذ لنا أيها الاخوة ثقة بالدخول الى الأقداس بدم يسوع » ؟

انه يقول لهم « فانه ان أخطأنا باختيارنا بعدما أخذنا معرفة الحق لا تبقى بعد ذبيحة عن الخطايا ، بل قبول دينونة مخيف وغيرة نار عتيده أن تأكل المضادين ٠٠٠ فاننا نعرف الذى قال لى الانتقام أنا أجازى يقول الرب وأيضا الرب يدين شعبه ٠ مخيف هو الوقوع فى يدى الله الحى » (عب ١٠ : ٢٦ - ٣١) ٠

هذا انذار بالهلاك لمن يخطىء من هؤلاء الاخوة المؤمنين القديسين، يعطينا فكرة عن امكانية هلاك المؤمن ٠ لأن بولس الرسول يقول فيه « فكم عقاباً أشر تظنون أنه يحسب

مستحقا من داس ابن الله ، وحسب دم العهد الذى قدس به دنسا ، وازدرى بروح النعمة » (عب ١٠ : ٢٩) • نلاحظ هنا أن عبارة « دم العهد الذى قدس به » ، تدل على أن هذا الهالك كان مؤمنا ، قد تقدس قبلا بدم العهد !••

الإثبات الرابع

أمثلة من هلاك المرتدين :

هؤلاء المرتدون كانوا من قبل مؤمنين ، ثم ارتدوا وهلكوا • والأمثلة فى الكتاب المقدس كثيرة توضح هلاكهم •

● يقول بولس الرسول لتلميذه تيموثيؤس « ولكن الروح يقول صريحا **انه فى الأزمنة الأخيرة يرتد قوم عن الايمان تابعين أرواحا مضلة وتعاليم شياطين** ، فى رياء أقوال كاذبة موسومة ضمائرهم ، مانعين عن الزواج ، وآمرين أن يمتنع عن أطعمة قد خلقها الله لتتناول بالشكر من المؤمنين وعارفى الحق » (اتى ٤ : ١ ــ ٣) •

هؤلاء الذين تبعوا أرواحا مضلة وتعليم شياطين ، قد هلكوا بلا شك • ومع ذلك فان عبارة « يرتد قوم عن الايمان » تدل على أنهم كانوا مؤمنين من قبل • وهذا مثل واضح عن امكانية هلاك المؤمن ، اذا ارتد ، ينطوى تحته جميع الهراطقة والمبتدعين •

● **ومن أمثلة المرتدين ما ورد فى مثل الزارع** ، اذ قال الرب « والذين على الصخر ، هم الذين متى سـمعوا يقبلون الكلمة بفرح • وهؤلاء ليس لهم أصل ، فيؤمنون الى حين ، وفى وقت التجربة يرتدون » (لو ٨ : ١٣) • **لا يمكن أن نصـدق أنه يكون خلاص لأولئك الذين على الصـخر ، الذين يرتدون وقت التجـربة ومع ذلك فقد سـماهم المسيح نفسه مؤمنين ، ولو الى حين •**

● ومن أخطر أنواع الارتداد ، ذلك الارتداد العام الذى سيحدث قبل مجىء المسيح ثانية • وفى ذلك قال الرسـول عن مجىء المسيح الثانى « لا يخدعنكم أحد على طريقة ما • لأنه **لا يأتى (أى المسيح) ، ان لم يأت الارتداد أولا** ، ويستعلن انسان الخطيئة ابن الهلاك المقـاوم والمرتفع على كل من يدعى الها » (٢ تس ٢ : ٣) • ولا شك أنه فى هذا الارتداد العام سيهلك كثير من المؤمنين الذين يرتدون عن الايمان •

ومن أمثلة الهراطقة المبتدعين الفاسدين ، الذين يرتدون ويهلكون ، ما قاله عنهم بطرس الرسول لأنه اذا كانوا بعدما نجوا من نجاسات العالم بمعرفة الرب والمخلص يسوع المسيح ، يرتبكون أيضا فيها فينغلبون ، فقد صارت لهم الأواخر أشر من الأوائل • **لأنه كان خيرا لهم لو لم يعرفوا طريق البر ، من أنهم بعدما عرفوا يرتدون عن الوصية المقدسـة المسلمة لهم » (٢ بط ٢ : ٢٠ ، ٢١) •**

الإثبات الخامس

(عب ٦ : ٤ ـ ٨)

الذين استنيروا وسقطوا :

يقول بولس الرسول « لأن الذين استنيروا مرة ، وذاقوا الموهبة السمائية ، وصاروا شركاء الروح القدس ، وذاقوا كلمة الله الصالحة ، وقوات الدهر الآتي وسقطوا ، لا يمكن تجديدهم أيضاً (ثانية) للتوبة ... » .

ان الصفات الأولى تدل على ايمان هؤلاء والعبارة الأخيرة تدل على هلاكهم . وهذا اثبات واضح على امكانية هلاك المؤمن . على أن البروتستانت ـ للأسف الشديد ـ يحاولون أن يزعموا ان هؤلاء لم يكونوا مؤمنين !!! على الرغم من استنارتهم وشركتهم مع الروح القدس ومذاقتهم المواهب والقوات وكلمة الله !!

ولسنا نريد أن نجادلهم كثيرا ، وانما يكفي أن نقول ان نص الآية يدل على ايمانهم . فعبارة « لا يمكن تجديدهم ثانية » دليل واضح على أنه قد سبق تجديدهم من قبل ، أى أنهم كانوا مؤمنين .

وهلاكهم واضح فى تشبيه الرسول لهم بأرض « مرفوضة ، وقريبة من اللعنة التى نهايتها الحريق » (ع ٨) .

الإثبات السادس

يقين يحتاج الى ثبات ، وله شروط :

● **قال القديس بطرس الرسول « لذلك بالأكثر اجتهدوا أيها الأخوة أن تجعلوا دعـوتكم واختياركم ثابتين بالأعمال الصالحة » (٢ بط ١ : ١٠) .**

اذن فاختيار الله لنا ، ودعوته لنا ، كل ذلك يحتاج منا الى اجتهاد بالأكثر ، لـكي يكون هـذا الاختيار ثابتاً ... والا ، فان الاختيار لا يثبت !...

● يشبه هذا أيضاً قول القديس بولس « وبيته نحن ، ان تمسكنا بثقـة الرجاء وافتخـاره ثابتـة الى النهـاية » (عب ٣ : ٦) .

كأن هذه الثقة يمكن أن تثبت أو لا تثبت ، وتحتاج الى أن نتمسك بها حتى النهاية .

ويعود الرسول فيقول أيضاً « لأننا قد صرنا شركاء المسيح **ان تمسكنا ببداءة الثقة ثابتة الى النهاية » (عب ٣ : ١٤) .**
هنا شرط واجب علينـا ، أن نتمسك ، حتى النهـاية ... ويتابع الرسـول كلامه فيحـذرنا من أن نقسى قلوبنا ، والا يحدث لنا كما حدث للشعب العاصي الذى هلك فى القفر .

● هـذا الشرط الواجب علينـا ، يكرره الرسـول مرة أخرى فى قوله « ... ليحضركم قديسين وبلا لوم ولا شكوى

أمامه ، **ان ثبتم علـى الايمان ، متأسسين وراسـخين وغـير متنقلين عن رجاء الانجيل » (كو ١ : ٢٢ ، ٢٣) ٠**

● انه خلاص من الرب ، لنا رجاء فيه ، ولكن الرسول ينذرنا قائلا « كيف ننجو نحن انأهملنا خلاصاً هذا مقداره » (عب ٢ : ٣) ٠ **اذن يمكن أن نهمل الخلاص ، فلا ننجو ٠٠٠**

الإثبات السابع

(رؤ ١٣ : ٧)

ما أخطر ما قيـل فى ســـفر الرؤيا عن الوحش انه « **اعطى أن يصنع حـــرباً مع القديســين ويغلبهم** » !٠٠٠ وعبارة « قديسين » تعنى ولا شك أنهم مؤمنون ٠

فان كان ممكنا أن ينغلب القديسون ، فلنحـذر نحن ٠ ولنداوم على الطلبة باستمرار لكى يرحمنا الرب ، فلا نهلك٠٠

الإثبات الثامن

هلاك ديماس مساعد القديس بولس :

كان ديماس أحد مساعدى بولس الرســول ٠ ذكره فى رسالته الىكولوسى « يسلم عليكملوقا الطبيبالحبيب وديماس » (كو ٤ : ١٤) ٠ وفى رسالته الى فليمون قال « يسلم عليكم

مرقس وارسترخس وديماس ولوقا ، العـاملون معى »
(فل ٢٤) .

يذكره هنا ضمن ثلاثة من أكبر الكارزين العاملين معه منهما اثنان من الانجيليين الأربعة . واسم ديماس يسبق اسم القديس لوقا الانجيلي . فهل مع كل ذلك لم يكن مؤمنا .

ومع كل ذلك ، فان ديماس المؤمن ، الكارز العظيم ، قد هلك . وقال عنه مار بولس « ديماس قد تركنى اذ أحب العالم الحاضر » (٢ تى ٤ : ١٠) . والبروتستانت يقولون فى كتبهم انه ـ بعد تركه القديس بولس ـ صار كاهنا وثنياً !!

باقى الأثبـاتات

حرصاً على عدم التكرار ، انظر ما يتعلق بهذا الموضوع من الأدلة التى وردت فى باب « الدينونة حسب الأعمال » ...

اعتراضات ، والرد عليها

الاعتراض الأول

+ (يو ١٠ : ٢٧ - ٢٩)

لا يقدر أحد أن يخطف من يد أبى

أول اعتراض لهم على امكانية هلاك المؤمن هو قول الرب :

« خرافى تسمع صوتى ، وأنا أعرفها ، فتتبعنى • وأنا أعطيها حياة أبدية ولن تهلك الى الأبد ، ولا يخطفها أحد من يدى • أبى الذى أعطانى اياها هو أعظم من الكل ، ولا يقدر أحد أن يخطف من يد أبى » •

فما معنى هذا النص ؟ ليتنا نتأمله جيداً :

أولا : **هؤلاء الذين لا يهلكون أول صفة ذكرها عنهم الرب أنهم خراف • والسيد المسيح يشبه الصالحين بالخراف ، كما يشبه الأشرار بالجداء** • كما ذكر فى يوم الدينونة أنه « يجتمع أمامه جميع الشعوب ، فيميز بعضهم من بعض، كما يميز الراعى الخراف من الجداء فيقيم الخراف عن يمينه، والجداء عن اليسار • ثم يقول الملك للذين عن يمينه :

تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملك المعد لكم منذ تأسيس العالم » (مت ٢٥ : ٣٢ ــ ٣٤) ٠
فما دامت هذه خرافا ، اذن هي عناصر صالحة ٠ لأنها لو كانت شريرة لسماها جداء ٠

ثانيا : لقد وصف هذه الخراف بأوصاف البر منها :

أ ــ يقول انها تسمع صوتي ، وتتبعني ٠ وهذا معناه أنها تنفذ الوصايا وتعمل أعمالا صالحة ٠ وكلنا نوافق على أن الذي يسمع صوت الرب ويتبعه لا يمكن أن يهلك ٠

ب ــ وفي نفس الاصحاح وصف هذه الخراف بأنها « **لاتتبع الغريب بل تهرب منه ، لأنها لا تعرف صوت الغرباء** » (يو ١٠ : ٥) ٠ وانها لذلك لم تسمع صوت السراق واللصوص الذين أتوا قبله (يو ١٠ : ٨) ٠ وهذا كله يعني أن هذه الخراف الصالحة لا تنقاد وراء الشياطين ، ولا وراء الأشرار ٠

وكل هذا يدل على الصلاح من ناحيتيه الايجابية والسلبية : تتبع الرب ولا تتبع الغريب ٠ تعرف صوت الرب، وتميزه ، وتسمعه ، وتتبعه ٠ ولا تعرف صوت الغرباء ، ولا تتبعهم ، بل تهرب منهم ٠ لسنا نرى للصلاح أدلة أكثر من هذه ٠ ومع ذلك نذكر دليلا آخر ٠

ثالثاً : « يقول خرافي تسمع صوتي **وأنا أعرفها** » ٠ **وهذه المعرفة متبادلة** ، لذلك يقول أيضا في نفس الاصحاح « **وأعرف خاصتي وخاصتي تعرفني** ، كما أن الأب يعرفني

وأنا أعرف الأب » (يو ١٠ : ١٤) أية معرفة أقوى من هذه ... !! • ويفصل الرب هذه المعرفة بأنه «**يدعو خرافه الخاصة بأسماء** » (يو ١٠ : ٣) •

هذه المعرفة تميز الصالحين عن الأشرار الذين يقول لهم الرب « انى لم أعرفكم قط • اذهبوا عني يا فاعلي الاثم » (مت ٧ : ٢٣) • اذن فقد قال الرب عن الأشرار انه لا يعرفهم ... يؤكد هذا أيضا قول الرب للعذارى الجاهلات « الحق أقول لكن انى ما أعرفكن » (مت ٢٥ : ١٢) •

فما دام اذن يعرف هذه الخراف التي سوف لا تخطف من يده ولا من يد الآب ، اذن لابد ان هؤلاء أنقياء القلب وصالحون. لأنهم لو كانوا أشراراً لقال عنهم : انى لا أعرفكم •

نلخص اذن صفات أولئك المؤمنين الذين سوف لا يخطفون من يد الآب :

انهم من الخراف لا من الجداء ، أى أنهم من الصالحين الأبرار • كما أنهم يطيعون وصايا الله ، فيسمعون صوته ويتبعونه • كذلك هم يبعدون عن الشر والأشرار ، اذ لا يسمعون لصوت الغريب ولا يتبعونه ، بل يهربون منه • نحن ولا شك نوافق أن مثل هذا النوع لا يهلك •

رابعا : ماذا يفهم من عبارة لا يقدر أحد « أن يخطف من يد أبى » • معناه أن القوات الخارجية لا تقدر أن تخطف

من يد الآب ولكن هذا لا يمنع من أن المؤمن وهو في يد الآب ـ كامل الحرية ـ ممكن بارادته أن يسقط •

أن الله لا يسمح لقوة خارجية أن تنتصر عليك وأنت في يده • ولكن ارادتك الداخلية يمكن أن تهلكك ان أردت •
لو قلت له أعن يارب ضعفي فأنه يطرد عنك جميع القوى المعارضة • أما ان أردت بنفسك أن تتركه فانه لا يرغمك على البقاء معه •

ما رأيكم في بعض خراف كانت في يد المسيح ، وضلت، وسقطت ، واحتاجت الى التوبة وقيل عن البعض ان له اسما انه حي وهو ميت ؟! من أمثلة هؤلاء بعض الملائكة السبعة الذين ورد ذكرهم في سفر الرؤيا •

قال يوحنا الرائي انه أبصر السيد المسيح في وسط المنائر السبع التي هي السبع الكنائس • وكان « معه في يده اليمنى سبعة كواكب ••• والسبعة الكواكب هي ملائكة السبع الكنائس » (رؤ ١ : ١٦ ، ٢٠) • وأول رسالة بدأها الرب بقوله « هذا يقوله الممسك السبع الكواكب في يمينه » • **اذن فهم ليسوا في يده فقط ، وانما في يمينه • وكلمة يمين ترمز الى القوة** « **يمين الرب صنعت قوة • يمين الرب رفعتني » (مز ١١٧ : ١٥ ، ١٦) •**

هؤلاء الذين هم في يمين الرب ، هؤلاء الجبابرة رعاة الكنائس ، ماذا قال لهم الرب ؟ قال لهم كلاما مخيفاً ••

قال لملاك كنيسة أفسس « ... **فأذكر من أين سقطت وتب** ، واعمل الأعمال الأولى . والا فانى آتيك عن قريب ، وأزحزح منارتك من مكانها » (رؤ ٢ : ٥) ياللهول !

وقال لملاك كنيسة ساردس «**أنا عارف أعمالك ، أن لك اسما أنك حي وأنت ميت**» (رؤ ٣ : ١) . تصوروا أن هذا الملاك العظيم الممسك به الرب فى يمينه كان ميتا ، واحتاج أن يقول له الرب « فأذكر كيف أخذت وسمعت ، **واحفظ وتب** . فاني ان لم تسهر أقدم عليك كلص . ولا تعلم أية ساعة أقدم عليك » (رؤ ٣ : ٥) **فليرحمنا الله يا اخوتي كعظيم رحمته . أننا لسنا أقوى من هؤلاء الملائكة السبعة .**

اسمعوا أيضا الكلام المخيف الذى قاله الرب لملاك كنيسة لاودكيا « هكذا لأنك فاتر ، ولست باردا ولا حارا ، **أنا مزمع أن أتقيأك من فمي** » (رؤ ٣ : ١٦) انه تهديد بالهلاك . ويتابع الرب كلامه فيقول له « لأنك تقول انى أنا غنى ، وقد استغنيت ولا حاجة لى الى شيء . **ولست تعلم أنك أنت الشقي والبائس وفقير وأعمى وعريان** » . وهكذا أشار الرب عليه أن يشترى ثياباً بيضاً حتى لا يظهر « خزى عريته » . وقال له أخيرا « كن غيوراً وتب » (رؤ ٣ : ١٧ — ١٩).

فلا تعتمد أيها الأخ على أنك في يد الله وتترك محبتك الأولى . فما أسهل أن تسقط من يمين الله ، ان أردت ذلك . لا يخطفك أحد من يده ، وانما أنت بارادتك قد تترك يد الله .

الاعتراض الثانى

+ (أف ١ : ١٣ / ١٤)

ختمتم بروح الموعد القدوس

انها آية أخرى يعتمد عليها المعترضون • وهى قول بولس الرسول :

« اذ آمنتم ختمتم بروح الموعد القدوس ، الذى هو عربون ميراثنا ••• » • فاعتبروا أن ختم الروح القدس هو عربون ميراث أبدى لا ينزع من الانسان •

والرد بسيط **ان الذين ختموا بالروح القدس ، ما تزال لهم حرية ارادة** ولذلك يقول لهم الكتاب : « لا تحزنوا روح الله القدوس الذى به ختمتم ليوم الفداء » (أف ٤ : ٣٠) • ويقول لهم أيضـــا « لا تطفئوا الروح » (اتس ٥ : ١٩) • ويقول أكثر من هذا « من جدف على الروح القدس فليس له مغفرة الى الأبد ، بل هو مستوجب دينونة أبدية (مر ٣ : ٢٩) **اذن فما يزال الأمر بيد الانسان الحر فى ارادته • ان شاء أحزن الروح ، وان شاء أطفــأ الروح ، وان شاء جدف على الروح • لذلك نحن نصلى ونقول مع المرتل « روحك القدوس لا تنزعه منى » (مز ٥٠) •**

ان شاول الملك الذى اختاره الرب ، ومسحه صموئيل بالدهن المقدس وحل عليه الروح القدس فتنبأ ، وتحول الى رجل آخر ، حتى تعجب الناس قائلين « أشاول أيضا بين الأنبياء » (١ صم ١٠ : ٦ـ١١) ، هذا قد عاد الرب فرفضه، وفارقه روح الرب وبغتته روح ردىء من قبل الرب (اصم ١٦ : ١ ، ١٤) • وهلك شاول مرفوضا من الله •

ليست العبرة فى أوائل الانسان اذ يختم بروح الرب ، أو يحل عليه روح الرب ، انما العبرة كيف تكون أواخره •

● مثل هذا الرد نجيب به أيضا على من يعترضون بقول الرب : « وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزيا آخر ليمكث معكم الى الأبد » (يو ١٤ : ١٦) • **ان الروح مستعد أن يمكث معنا • ولكن اذا استمر بنا الحال فى احزان الروح واطفاء الروح ، أو فى التجديف أخيراً على الروح ، فمن الممكن أن ينزع منا •**

الاعتراض الثالث

+ (لو ١٠ : ٢٠) ، (فى ٤ : ٣) ، (رؤ ٢١ : ٢٧) •

أسماؤكم قد كتبت فى السموات

يعترض البعض على امكانية هلاك المؤمن ، بقول الرب

لتلاميذه السبعين « ولكن لا تفرحوا بهذا ان الأرواح تخضع لكم ، بل افرحوا بالحرى أن أسماءكم كتبت فى السموات » (لو ١٠ : ٢٠) • وبقول بولس الرسول فى رسالته الى فيلبى « وباقى العاملين معى الذين أسماؤهم فى سفر الحياة » (فى ٤ : ٣) • أو بقول الوحى الالهى فى سفر الرؤيا « ولن يدخلها شىء دنس ولا ما يصنع رجساً وكذبا ، الا المكتوبين فى سفر حياة الخروف » (رؤ ٢١ : ٢٧) •

ما اسهل أن نقول ان هذه النصوص المقدسة ، وخاصة النص الأخير ، انما يقصد بها المختارون • ولكن أوضح من هذا أن نقول فى صراحة تامة : انه من الممكن أن يكتب اسم شخص فى سفر الحياة ، ثم يمحى اسمه بعد ذلك •

وهذا واضح من كلام الرب لموسى النبى فى سفر الخروج حينما قال له موسى « والآن ان غفرت خطيئتهم ، والا فامحنى من كتابك الذى كتبت » • « فقال الرب لموسى : من أخطأ الى أمحوه من كتابى » • (خر ٣٢ : ٣٢ ، ٣٣) •

ويقول الرب فى سفر الرؤيا « من يغلب فذلك سيلبس ثياباً بيضا ، ولن أمحو اسمه من سفر الحياة » (رؤ ٣ : ٥) . **اذن فهناك امكانية لمحو اسم انسان من سفر الحياة : الذى يغلب لا يمحو الرب اسمه ، والذى ينغلب يمكن أن يمحو الرب اسمه من سفر الحياة • وكما قال « من أخطأ الى أمحوه من كتابى » •**

وقد قال أيضا فى آخر سفر الرؤيا « وان كان احد يحذف من أقوال هذه النبوءة ، **يحذف الله نصيبه من سفر الحياة** ، ومن المدينة المقدسة ، ومن المكتوب فى هذا الكتاب »
(رؤ ٢٢ : ١٩)

الاعتراض الرابع

+ **(غلا ٤ : ٧)**

نحن أولاد الله ، وورثة مع المسيح

يعترضون أيضا بقول بولس الرسول « اذن لست بعد عبداً ، بل ابنا فان كنت ابنا ، فوارث لله بالمسيح » .

ان هذا الاعتراض يدعونا الى أن نبحث معاً ما هو المعنى الروحى لكلمة ابن : يقول يوحنا الرسول فى تعريف كلمة ابن « ان علمتم انه بار هو ، فاعلموا ان كل من يصنع البر مولود منه » (ايو ٢ : ٢٩) . **فان قلت أيها الأخ انك ابن الله ، وبالتالى وارث لله بالمسيح ، فينبغى أن تبرهن على بنوتك ببرك . فان كنت لا تصنع البر فلست مولودا منه .**

يقول يوحنا أيضا « كل من هو مولود من الله لا يفعل خطيئة ، لأن زرعه يثبت فيه . ولا يستطيع أن يخطىء ، لأنه مولود من الله . بهذا أولاد الله ظاهرون ، وأولاد أبليس

(ظـاعرون) • كل من لا يفعـل البر فليس من الله »
(ايو ٣ : ٩ ، ١٠) • ويكرر معلمنا يوحنا الحبيب هذا المعنى
في الاصحاح الخامس من رسالته فيقول « نعلم أن كل من ولد
من الله لا يخطىء ، بل المولود من الله يحفظ نفسه والشرير
لا يمسه (١ يو ٥ : ١٨) •

**فهل أنت ابن بهذا المعنى الذى يشرحه يوحنا الرسول ؟
ان كنت كذلك فطوباك ، لا شك انك وارث لله بالمسـيح •**
أما ان كنت ـ اذا ناقشـك أحد في آية تتعلق بموضوع
الخلاص ـ تتشاجر وتشتم وترفع صوتك وتقيم ضجة ، ثم
بعد ذلك تقول أنا ابن لله !! فاعلم أن أولاد الله لا يشتمون ،
لأن الشتامين لا يرثون ملكوت الله • (١ كو ٦ : ١٠) •

**لا تفتخر باطلا أيها الأخ كما افتخر اليهود قديما ببنوتهم
لابراهيم ،** فأخجلهم السـيد المسـيح بقوله « لو كنتم أولاد
ابراهيم ، لكنتم تعملون أعمال ابراهيم » (يو ٨ : ٣٩) •
فلو كنت أنت ابنا لله ، ووارثا مع المسيح ، « ينبغى أنه كما
سلك ذاك هكذا تسلك أنت أيضا » (ايو ٢ : ٦) •

**ان الولادة من الله ليست مجرد لقب زائف نفتخر به •
وانما لها علامات تميزها • يقول الرسول « لأن كل من ولد
من الله يغلب العالم »** • (ايو ٥ : ٤) • ويقول أيضا « وكل
من يحب ، فقد ولد من الله ويعرف الله » (ايو ٤ : ٧) •
فهل ينطبق عليك هذان الشرطان ؟ هل أنت ثابت فى المحبة ؟
وهل أنت تغلب العالم ؟ •

علامة جوهرية اخرى للولادة من الله ، تظهر فى قول بولس الرسـول الى أهل رومية « لأنه ان عشتم حسب الجسـد فستموتون ، ولكن ان كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد فستحيون • **لأن كل الذين ينقادون بروح الله ، فأولئك هم أبناء الله** » (رو ٨ : ١٣ ، ١٤) • هنا شرط للبنوة لله ، يحددها الرسول فى الذين ينقادون بروح الله • من هو ابن الله ؟ هو الذى ينقاد بروح الله • فهل ينطبق عليك هذا الشرط أيها الوارث مع المسيح والضامن للملكوت ؟ اسأل نفسك •••

شرط أساسى آخر للولادة من الله ، أن تكون مولودا من فوق ، مولوداً من الماء والروح • لأن ربنا يسوع المسيح نفسه قال لنيقوديموس « الحق أقول لك ان كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله » (يو ٣ : ٥). فهل أنت أيضا قد خلصت « بغسل الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس » (تى ٣ : ٥) ؟ وهل قدسك السيد المسيح مطهراً اياك بغسل الماء بالكلمة ؟ (أف ٥ : ٢٦) •

لا تقل بغير تمعن (أنا ابن لله ، فوارث للمسيح ، فضامن للملكوت) • وانما اختبر نفسك هل أنت قد ولدت من الماء والروح ؟ هل أنت تحفظ نفسك والشرير لا يمسك ؟ هل أنت تغلب العـالم ؟ هل أنت محب وصانع للبر ؟ هل أنت لا تستطيع أن تخطىء ؟ هل أنت تنقاد بروح الله ؟ ان كنت كذلك فأنت ابن حقا لله ، وأعمالك تدل عليك « ومن ثمارهم تعرفونهم » •

أما قول بولس « لست عبدا بل ابنا » فيجب أن نضع الى جواره قول السيد المسيح « ان كل من يعمل الخطيئة هو عبد للخطيئة ، والعبد لا يبقى فى البيت الى الأبد . أما الابن فيبقى الى الأبد . فان حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً » (يو ٨ : ٣٤ – ٣٦) .

فالبنوة لله اذن من علاماتهـا التحرر من الخطيئة وعـدم العبودية لها . فان كنت ما تزال تفعل الخطيئة فأنت عبد لها وأنت اذن خارج عن قول بولس الرســول « لست عبداً بل ابنا » .

ان السيد المسيح يحسم هذا الأمر فيقول « ليس كل من يقول لى يا رب يا رب يدخل ملكوت الســموات ، بل الذى يفعل ارادة أبى الذى فى السموات » (مت ٧ : ٢١) . « لأن من يصــنع مشيئة أبى الذى فى السموات هــو أخى وأختى وأمى » (مت ١٢ : ٥٠) هذا هو حقا الوريث مع المسيح .

● نفس الكلام الذى قلناه ســابقا ينطبق أيضا على آية بنفس المعنى يستخدمها المعترضون أحيانا وهى :

« **فان كنا أولادا ، فاننا ورثة أيضا** ، ورثة الله ، ووارثون مع المسيح . ان كنا نتألم معه ، لكى نتمجد أيضا معه »

(رو ٨ : ١٧)

الاعتراض الخامس

+ (يو ٦ : ٣٧)

من يُقبل إليّ ، لا أُخرِجه خارجًا

حقا ان كل من يقبل الى المسيح لا يخرجه المسيح خارجا . ولكن ماذا نقول عن الذى يخرج بارادته من تلقاء نفسه ؟!
ان المسيح هو الباب ان دخل أحد به يخلص ويجد مرعى (يو ١٠ : ٩) .

ان كل الذين خرجوا من الحظيرة المقدسة ، هم خرجوا بذواتهم ، بأعمالهم ، بطياشتهم ، بضلالهم . هم أرادوا لأنفسهم الهلاك . عن أمثال هؤلاء يقول يوحنا الرسول « منا خرجوا . لكنهم لم يكونوا منا . لأنهم لو كانوا منا لبقوا معنا» (١ يو ٢ : ١٩) . هم الذين خرجوا .

ومن أمثلة هؤلاء أولئك الذين لم يحتملوا كلام السيد المسيح عندما تحدث عن التناول من جسده ودمه . وفى ذلك يقول الكتاب « من هذا الوقت رجع كثيرون من تلاميذه الى الوراء ، ولم يعودوا يمشون معه . فقال يسوع للاثنى عشر ألعلكم أنتم أيضا تريدون أن تمضوا » (يو ٦ : ٦٦ ، ٦٧).

فهؤلاء لم يخرجهم الرب خارجا ، انما هم الذين تركوه ، بعكس الاثنى عشر الذين ثبتوا معه ·

حتى يهوذا الاسخريوطى أيضا ، لم يطرده الرب ، ولم يخرجه خارجا · وانما هو الذى ترك مجمع التلاميذ ، وترك عشاء الرب وخرج يفعل ما قد تآمر عليه من قبل ·

الاعتراض السادس

+ (١ يو ٥ : ١١ ، ١٢)

من له الابن ، فله الحياة

يعترض البعض بقول يوحنا الرسول « وهذه هى الشهادة أن الله أعطانا حياة أبدية وهذه الحياة هى فى ابنه ، من له الابن فله الحياة ومن ليس له ابن الله فليست له الحياة » · فيقولون مادام شخص له الحياة ، وله حياة أبدية فكيف يهلك اذن ؟!

مفتاح هذه الآية هو فهم المعنى المقصود من عبارة من له الابن · فماذا تعنى هذه العبارة ؟ هل تعنى « كل من يؤمن به » ؟ كلا طبعا ، لأن الابن نفسه يقول « ليس كل من يقول لى يا رب يا رب يدخل ملكوت السموات ، بل الذى يفعل ارادة

أبي الذي في السموات » (مت ٧ : ٢١) • وتابع الرب كلامه قائلا « كثيرون سيقولون لي في ذلك اليــوم يا رب يا رب ، أليس باسمك تنبأنا ، وباسمك أخرجنا شياطين ، وباسمك صنعنا قوات كثيرة ؟ فحينئذ أصرح لهم **انى لم أعرفكم قط ، اذهبوا عني يا فاعلي الاثم** » •

هؤلاء لم يكونوا مؤمنين فقط وانما كانوا صــانعي آيات أيضا • ومع ذلك لم يكن لهم الابن « لم يعرفهم قط » • وذلك لأنهم كانوا فاعلي اثم •

وهكذا العذارى الجاهلات : كن مؤمنات ، وقد نادينه قائلات « يا سيد يا سيد افتح لنا » (مت ٢٥ : ١١) • فأجابهن قائلا « الحق أقول لكن اني ما أعرفكن » •

هن أيضا لم يكن لهن الابن ، على الرغم من ايمانهن ، وعلى الرغم من أنهن كن ينتظرنه كالحكيمات ، وقد حفظن بتوليتهن ، وأردن أن يدخلن معه الى العرس •

اذن فعبارة من له الابن ، لا تعني مجرد الايمان • فماذا تعني اذن ؟ ما معنى « من له الابن فله الحياة » ؟ تعني الآتي :

أولا ـ معرفة الابن :

وهذا واضح من قول ربنا يسوع المسيح نفسه للآب : « هذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الاله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته » (يو ١٧ : ٣) •

ولكن ما معنى أن نعرف الابن ؟ وما الدليل على أننا عرفناه ؟

يجيب يوحنا الرسول نفسه ، فى نفس رسالته قائلا : « **بهذا نعرف أننا عرفناه ، ان حفظنا وصاياه • من قال قد عرفته ، وهو لا يحفظ وصاياه فهو كاذب وليس الحق فيه •** وأما من حفظ كلمته ، فحقا فى هذا قد تكملت محبة الله • بهذا نعرف أننا فيه » (١ يو ٢ : ٣ ـ ٥) •

هذا هو الرد • لأنه كيف يكون لنا الابن ان كنا لانعرفه؟! أو كيف نعرفه ان كنا لا نحفظ وصاياه ؟! فان حفظنا وصاياه ندلل بهذا على أننا نعرفه وان عرفناه تكون لنا الحياة • اذن من يحفظ وصايا الابن ، يكون له الابن ، وتكون له الحياة • وما حفظ الوصايا سوى أعمال، تبرهن على صدق هذا الحفظ•

ثانيا ـ الثبات فى الابن :

ان الذى له الابن ، هـو الذى يثبت فى الابن ، والابن نفسه قد قال « اثبتوا فى وأنا فيكم ••• أنا الكرمة وأنتم الأغصان•• ان كان أحد لا يثبت فى ، يطرح خارجا كالغصن، فيجف ويجمعونه ويطرحونه فى النار فيحترق »
(يو ١٥ : ٤ ـ ٦)

اذن فالثبات فيه لازم للحياة ، كما أن الغصن لا يحيا الا اذا كان ثابتا فى الكرمة ، والذى لا يثبت فيها يجف وتكون نهايته الحريق • اذن من يثبت فى الابن فله الحياة •

فكيف اذن نثبت فيه ؟

يتابع الابن كلامه فيقول « اثبتوا في محبتي . ان حفظتم وصاياي تثبتون في محبتي ، كما أني أنا قد حفظت وصايا أبي وأثبت في محبته » (يو ١٥ : ٩ ، ١٠) .

الأمر اذن من هذه الناحية أيضا يتعلق بحفظ الوصايا ، أي بالأعمال الصالحة . يؤكد هذا يوحنا الحبيب أيضا في نفس رسالته « من قال انه ثابت فيه ، ينبغي أنه كما سلك ذاك ، هكذا يسلك هو أيضا » (١ يو ٢ : ٦) .

وماذا تعني أيضا عبارة من له الابن ؟ تعني كذلك :

ثالثا ـ الشركة مع الابن :

الذي له الابن ، هو الذي له شركة معه . وفي ذلك يقول يوحنا الرسول نفسه « وأما شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح » (١ يو ١ : ٣) . ويتحدث بولس الرسول كثيرا عن هذه الشركة فيقول « متنا معه ، دفنا معه ، قمنا معه ، نتمجد معه » (رو ٦) . ويقول أيضا « لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه » (في ٣) . ويقول «مع المسيح صلبت» (غل ٢) .. الخ .

ولكن كيف تكون لنا شركة معه ؟ هنا يجيب القديس يوحنا في نفس رسالته « ان قلنا ان لنا شركة معه ، وسلكنا في الظلمة ، نكذب ولسنا نعمل الحق . ولكن ان سلكنا في

النور كما هو في النور ، فلنا شركة بعضنا مع بعض ، ودم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطيئة » (١ يو ١ : ٦،٧)٠

الأمر اذن كسابقه يتعلق بالسلوك أى بالأعمال ٠

رابعا ـ محبة الابن :

لا شك أن الذى له الابن ، هو الذى يرتبط بالابن برابطة الحب ٠ فكيف نحبه اذن ؟

يجيب السيد المسيح نفسه على هذا السؤال بقوله « الذى عنده وصاياى ويحفظها ، فهو الذى يحبنى ٠ والذى يحبنى يحبه أبى ، وأنا أحبه وأظهر له ذاتى » (يو ١٤ : ٢١) ٠
والقديس يوحنا يؤكد هذا أيضا فى نفس رسالته فيقول « فان هذه هى محبة الله أن نحفظ وصاياه » (١ يو ٥ : ٣)٠
الأمر من هذه الناحية أيضا يتعلق بحفظ الوصايا أى بالأعمال ٠

اذن فعبارة من له الابن ـ سواء كان معناها : من يعرف الابن ، أو من يثبت فى الابن ، أو من له شركة مع الابن ، أو من يحب الابن ـ فهى تستلزم حفظ الوصايا ، لكى تكون للمؤمن الحياة الأبدية ٠

اذن فالحياة الأبدية تستلزم سلوكا دائما بالبر ٠ ان حاد عنه الانسان ، يفقد هذه الحياة ٠ لأنه « ان قلنا ان لنا شركة معه ، وسلكنا فى الظلمة ، نضل أنفسنا » ٠٠٠

ان رسالة يوحنا الأولى لها روح خاصة تتمشى في الرسالة كلها . ولذلك اذا حاول البروتستانت أن يعتمدوا على آية منها ، وجدوا في باقي الرسالة ما يرد عليهم ...

الاعتراض السابع

+ (خر ١٢ : ٢٣ ، ٧)

مثال خروف الفصح

« ... فحين يرى الدم على العتبة العليا والقائمتين ، يعبر الرب عن الباب ولا يدع المهلك يدخل بيوتكم ليضرب » .

يستغل المعترضون هذه الآية ويقولون ان الذين كانوا يحتمون داخل الأبواب الملطخة بالدم ، كانوا يشعرون بكامل الأمان والاطمئنان مهما كانت حالتهم الشخصية ، ومهما كان تقصيرهم واثمهم ... لأن خلاصهم كان يعتمد على الدم ، دم خروف الفصح الذي يرمز للمسيح . ولم يكن خلاصهم يعتمد اطلاقا على أعمالهم . ويقولون انه يجب أن نكون في ملء الثقة بدم المسيح ، ناظرين الى استحقاقات الدم ، وليس الى أعمالنا .

ونحن لا ننكر أن الخلاص قد تم بدم المسيح وحده ، وان كفارة دم المسيح غير المحدودة كافية لبعث الاطمئنان في النفس . ولكن ثقتنا بدم المسيح ، ليس معناها أن نحيا في

الخطيئة ، أو أن نقصر فى أى عمل صالح ، مدعين بأن خلاصنا يتوقف على الدم وليس على برنا وطهارتنا .

وفى مثال خروف الفصح والأبواب المرشوشة بالدم نرى ملاحظة هامة جدا توضح الموقف توضيحا سليما من ناحية الرمز . ذلك أن خروف الفصح كان يؤكل على فطير (خر ١٢: ٨) وكان لابد من نزع كل خمير فى المحلة لمدة سبعة أيام .

وهكذا قال الكتاب « سبعة أيام تأكل فطيرا ، وفى اليوم السابع عيد للرب . فطير يؤكل السبعة أيام ، ولا يرى عندك مختمر ، ولا يرى عندك خمير فى جميع تخومك »
(خر ١٣ : ٦ ، ٧)

وقد شدد الرب تشديدا كبيرا على عزل الخمير من البيوت، مع توقيع عقوبة القطع على كل من يأكل مختمرا . فقال « سبعة أيام تأكلون فطيرا . اليوم الأول تعزلون الخمير من بيوتكم . فان كل من أكل خميرا من اليوم الأول الى اليوم السابع ، تقطع تلك النفس من اسرائيل » (خر ١٢ : ١٥).

وعاد فشدد على هذه النقطة مرة أخرى فقال « تأكلون فطيرا ... سبعة أيام لا يوجد خمير فى بيوتكم . فان كل من أكل مختمرا ، تقطع تلك النفس من جماعة اسرائيل ، الغريب مع مولود الأرض . لا تأكلوا شيئا مختمرا . فى جميع مساكنكم تأكلون فطيرا » (خر ١٢ : ١٨ ـ ٢٠) .

فما هى الحكمة فى كل هذا ؟ والى أى شىء ترمز ؟ ان أى

باحث فى الكتاب المقدس يرى جيدا أن الخمير يرمز الى الشر والخطيئة ، وأن الفطير يرمز الى البر والطهارة .

وقد أوضح بولس الرسول هذا الأمر وضوحا كاملا حينما قال « اذن نقوا منكم الخميرة العتيقة ، لـكى تكونوا عجينـا جـديدا كما أنتم فطير . لأن فصحنا أيضا المسيح قد ذبح لأجلنا . اذن لنعيد ليس بخـميرة عتيقـة ، ولا بخميرة الشر والخبث ، بل بفطير الاخلاص والحق » (١ كو ٥ : ٧ ، ٨) .

وهكذا تتضح أمامنا الصورة : الباب من الخارج مرشوش بالدم ، ومن الداخل قد نزع الخمير ، والكل يأكل فطيرا . ان دم المسيح لا يمكن أن يكون تصريحا لنا بأكل الخمير والشخص الذى يفلت بواسطة الدم من سيف المهلك ، يمكن مع هـذا الخلاص الأول أن تقطع نفسـه من الجماعـة اذا أكل خميرا . وهكذا يفقد خلاص الدم عن طريق أكلة من الخبز المختمر .

كم من أناس خلصوا من الخطيئة الأصلية بدم المسـيح ، ونجوا من سيف المهلك . ثم بعد ذلك فقدوا هذا الخلاص ، وقطعوا من جسم الكنيسـة ، لأنهم أكلوا مختمرا ، أولئـك « الذين نهايتهم الهلاك ، الذين الههم فى بطنهم ، ومجدهم فى خزيهم ، الذين يفتكرون فى الأرضيات » (فى ٣ : ١٩) .

هل بعد هذا تجرؤ أن تقـول اننى أنام مطمئنا داخـل الأبواب المرشوشة بالدم ، مهما كانت سيرتى ؟! أقول لك : كلا ، ان كان يوجد خمير داخل أبوابك ، فلا يمكن أن تنـام

مطمئنـا « ان كل من يأكل مختمرا ، تقطـع تلك النفس من شعبها » •

لذلك نقوا منكم الخميرة العتيقة • وعيدوا بفطير الاخلاص والحق • ان سبعة أيام الفطير ترمز الى العمر كله الذى ينبغى أن يكون طاهرا • لأن السبعة عدد يرمز الى الكمال • وطالما تعيش أيها الأخ داخل الأبواب المرشوشـة بالدم ، احترس طول حياتك أن تعزل الخمير من بيتك ، لأن الحكم واضح •

الاعتراض الثامن

المسيح سَدَّدَ مطالب الله

يقول المعترضون ان موت المسيح قد سدد مطالب العدل الالهى من كل جهة • فهل يطالبنا الله بتسديده مرة أخرى ؟

كلا ، ان الله لا يطالبنا بذلك ، كما أننا أعجز من أن نوفى عدل الله ••• وقد سدد السيد المسيح فعلا كل مطالب العدل الالهى ، وقدم كفارة غير محدودة ، تكفى لمغفرة جميع الخطايا لجميع الناس فى جميع الأجيال •••

ولكننا نكرر هنا ما سبق أن قلناه ان دم المسيح شيء ، واستحقاق دم المسيح شيء آخر • ان كل ما نفعله ، ليس هو

أن نسدد مطالب العدل الالهى، وانما أن نوجد أهلا لاستحقاقات دم المسيح ·

اننا لا نحاول أن نوفى العدل الالهى حقه ، فقد تم ذلك على الصليب ، حين سفك الرب دمه عنا · انما كل ما نعمله هو أن نكون مستحقين لدم المسيح ·

الاعتراض التاسع

من يسمع كلامى ... له حياة أبدية :

يعترضون أيضا بقول الرب « من يسمع كلامى ويؤمن بالذى أرسلنى ، فله حياة أبدية ، ولا يأتى الى دينونة بل قد انتقل من الموت الى الحياة » (يو ٥ : ٢٤) ·

نلاحظ هنا أنه لا يتكلم عن الايمان فقط ، بل عن الأعمال بالأكثر فى قوله « من يسمع كلامى » أى من ينفذ وصاياى · ونحن نعتقد أن المؤمن الذى ينفذ وصايا الله حتى النهاية ، فهذا هو الذى يخلص ·

ولو أننا تابعنا بقية كلام الرب فى هذه المناسبة ، لوجدناه يقول « فيقوم **الذين فعلوا الصالحات** الى قيامة الحياة» (يو ٥ : ٢٩) ، ولم يقل « الذين آمنوا » ، مشددا على أهمية الأعمال للخلاص ·

الاعتراض العاشر

الذى وعد هو أمين : + عب ١٠ : ٢٣

حقا ان وعد الله موجود ، والذى وعد هو أمين ، ولكن هذا لا يدعونا الى الثقة العمياء • بل ان القديس بولس ذاته يحذرنا فى نفس الرسالة قائلا « **فلنخف أنه مع بقاء وعد بالدخول الى راحته ، يرى أحد منكم أنه قد خاب منه** » **(عب ٤ : ١) ، كما يقول أيضا** « **ان كنا ننكره ، فهو أيضا سينكرنا** » **(٢ تى ٢ : ١٢) •**

يا اخوتى ، تذكروا باستمرار خطورة استخدام الآية الواحدة •

متى نصل الى الخلاص ؟

ان كان المؤمن يمكن أن يسقط ، ويمكن أن يهلك ، وان كان هناك أناس قد بدأوا بالروح وكملوا بالجسد ، **فمتى نقول اذن عن انسان انه قد خلص تماما ؟**

نقول ذلك عندما يكمل أيام غربته على الأرض بسلام • ذلك لأننا فى حرب وصراع ، طالما نحن فى الجسد(اف٦:١٠) **نحن فى حرب لم نعرف نتيجتها بعد ، لأنه من الجائز أن يكسب انسان الجولة الأولى ، ويخسر فى الجولة الثانية عشرة • من يضمن ؟! • ولا يستطيع محارب أن يقول انه انتصر ، الا بعد نهاية الحرب ، أى بعد خلع هذا الجسد •**

لذلك يقول الرسول « تمموا خلاصكم بخوف ورعدة » (فى ٢ : ١٢) • ويقول أيضا « انظروا الى نهاية سيرتهم » (عب ١٣ : ٧) •

نصوص مقدسة عن خلاصنا المنتظر :

● يقول القديس بولس « فان سيرتنا نحن هى فى السموات ، التى منها أيضا **ننتظر مخلصا** هو الرب يسوع ، الذى سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده » (فى ٣ : ٢٠) •

هذا هو الخلاص ، عندما نخلع هذا الجسد المائت ، ونلبس جسد المجد ••• بعد مجىء المسيح الثانى والقيامة العامة •

● ويقول كذلك « هكذا المسيح أيضا بعدما قدم مرة لكى يحمل خطايا كثيرين ، سيظهر ثانية بلا خطية **للخلاص للذين ينتظرونه** » (عب ٩ : ٢٨) • تحدث الرسول هنا أيضا عن الخلاص النهائى الذى يحدث بعد مجىء المسيح الثانى •

● وهكذا يقول القديس بطرس الرسول « أنتم الذين بقوة الله محروسون بايمان **لخلاص مستعد أن يعلن فى الزمان الأخير** » **(١ بط ١ : ٥) •**

● هذه الحقيقة ذاتها ، وضحها مار بولس عندما أمر بخصوص خاطىء كورنثوس « أن يسلم مثل هذا الشيطان لهلاك الجسد ، **لكى تخلص الروح فى يوم الرب** » **(١كو ٥:٥)**

● عن هذا الخلاص المقبل يقول الرسول لأهل رومية

(١٣ : ١١) « **فان خلاصنا الآن أقرب مما كان حين آمنا** » •

● ويقول لتلميذه القديس تيموثيئوس الاسقف « لاحظ نفسك والتعليم وداوم على ذلك • لأنك اذا فعلت هذا ، تخلص نفسك والذين يسمعونك أيضا » (١ تى ٤ : ١٦)•

فهذا القديس كان محتاجا أن يلاحظ نفسه ، ويلاحظ خدمته، ويداوم على هذه الملاحظة ، لكى يخلص •

● وعن هذا الخلاص المنتظر يقول القديس بطرس الرسول « **ان كان البار بالجهد يخلص** ••• » **(١ بط ٤ : ١٨)** •

● ويقول بولس الرسول عن الملائكة « أليس جميعهم أرواحا خادمة مرسلة للخدمة ، **لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص** » **(عب ١ : ١٤)** •

● هذا الخلاص الأخير يحتاج الى صبر وجهاد حتى نناله فى المجد • وفى هذا يقول القديس بولس « لأجل ذلك أنا أصبر على كل شيء ، لأجل المختارين لكى يحصلوا هم أيضا على الخلاص الذى فى المسيح يسوع مع مجد أبدى » (٢تى ٢: ١٠)•

اذن فهؤلاء المختارون لم ينالوا الخلاص الذى فيه المجد الأبدى ، على الرغم من أنهم نالوا خلاصا بدم المسيح فى المعمودية • ولكنه مجرد عربون (أف ١ : ١٤) يمكن أن نفقده ان أبطلنا جهادنا وانحرفت ارادتنا •••

هذا الخلاص الأخير ، كيف نناله ؟ يجيب الرسول قائلا « فلنحاضر بالصبر فى الجهاد الموضوع أمامنا » (عب ١٢:١)• ومن يصبر الى المنتهى ، فهذا يخلص •

الفصل السادس

إجابة أسئلة تتعلق بالموضوع

- ١ -

هل اختار الله أناساً معينين للخلاص ؟

أ ـ الخلاص مقدم للجميع :

يجيب الكتاب اجابة واضحة عن هذا السؤال فيقول «لأن هذا حسن ومقبول لدى مخلصنا **الله ، الذى يريد أن جميع الناس يخلصون والى معرفة الحق يقبلون** » (١ تى ٢ : ٤) ٠ ان الله يريد أن جميع الناس يخلصون وليست مجموعة معينة منهم ٠ محبة الله قد شملت العالم كله ٠ ولذلك فهو يقول « انى لا أسر بموت الشرير ، بل أن يرجع الشرير عن طريقه ويحيا » (حز ٣٣ : ١١) ٠

ولهذا فانه فى قضية الفداء يقول الكتاب « هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد ، لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية » (يو ٣ : ١٦) ٠ هنا نرى أن محبته عامة للجميع ، للعالم كله ٠ والخلاص مقدم بصفة عمومية لكل من يؤمن به فاديا وليس لمجموعة معينة ٠

وهذا المعنى يكرره أيضا معلمنا يوحنا الحبيب فى الحديث عن ذبيحة المسيح الكفارية ، اذ يقول « **وهو كفارة لخطايانا • ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضا** » (١ يو ٢ : ٢) اذن فالسيد المسيح قد قدم الخلاص للجميع ، بذل نفسه عن الجميع • هو كفارة لخطايا العالم كله ، يريد أن الجميع يخلصون •

هذه العمومية شرحها معلمنا بطرس الرسول فقال «بالحق أنا أجد أن الله لا يقبل الوجوه • بل **فى كل أمة الذى يتقيه ويصنع البر مقبول عنده** ••• هذا هو رب الكل » (أع ١٠ : ٣٤ ـ ٣٦) • ويشبه هذا أيضا ما قاله بطرس فى يوم الخمسين « ويكون كل من يدعو باسم الرب يخلص » •

اذن فالله يريد أن جميع الناس يخلصون•فان لم يخلصوا جميعا ، فلا يمكن أن يرجع السبب الى الله ، وانما الى الناس• لأنهم هم لم يريدوا لأنفسهم الخلاص وليس أن الله لم يرد لهم الخلاص •

ب ـ وضع الله الاختيار فى أيدى الناس :

ان الله كصالح ومحب لا يشاء أن يهلك خاطىء واحد ، بل يريد لكل خاطىء أن يرجع ويحيا • ومع ذلك فقد وضع الاختيار فى أيدى الناس • ترك الحرية لكل انسان لكي يختار لنفسه • وفى ذلك يقول السيد الرب للانسان :

« **أنظر • قد جعلت اليوم أمامك الحياة والخير ، والموت والشر ••• أشهد عليكم اليوم السماء والأرض • قد جعلت قدامك الحياة والموت ، البركة واللعنة • فاختر الحياة لكي تحيا أنت ونسلك » (تث ١٥ : ١٩) •**

ولو لم يكن الاختيار فى يد الانسان ، فلماذا اذن أرسل الله الرسل والأنبياء ؟ ولماذا اذن وضع لنا الوصايا وقدم الانذارات ؟ لماذا عين الكهنة والمعلمين ؟ ما فائدة هذا كله لو كان هناك أناس معينين للخلاص ، وآخرون معينين للهلاك ؟!

حـ ـ نصوص كثيرة تدل على أن الارادة بيد الانسان :

كثير من وصايا الله المقدسة تبدأ بعبارة « ان أراد أحد » أو « ان أردت » أو « ان سمع أحد لصوتى » ••• وأشباه هذه من العبارات ، مما يدل على أن الارادة فى يد الانسان ، يختار لنفسه ما يشاء ، ويحدد مصيره حسب عمله • وسنضرب أمثلة لكل هذا :

قال ربنا يسوع المسيح « **ان أراد أحد أن يأتى ورائى** ، فلينكر نفسه ، ويحمل صليبه ويتبعنى • **فان من أراد أن يخلص نفسه** يهلكها ، ومن يهلك نفسه من أجلى يجدها » (مت ١٦ : ٢٤ ، ٢٥) •

وقال للشاب الغنى « **ان أردت أن تدخل الحياة** فاحفظ الوصايا ••• **ان أردت أن تكون كاملا** ، فاذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء » (مت ١٩ : ١٧ ، ٢١) •

وقال فى رسالته الى ملاك كنيسة لاودكيا « ها أنذا واقف على الباب وأقرع • **ان سمع أحد صوتى وفتح الباب** • أدخل اليه وأتعشى معه وهو معى » (رؤ ٣ : ٢٠)• من جهة الله فانه واقف يقرع على الباب ، ومن جهة الانسان فهو الذى يملك الاختيار : يفتح أو لا يفتح • ونتيجة لهذا يتحدد مصيره •

وكثيرا ما يريد الله ، ولا يريد الانسان • يريد الله الخير للانسان ، ولا يريد الانسان الخير لنفسه • ويتركه الله لحرية ارادته ، يلقى مصيره حسبما يشاء •

مثال ذلك قول الرب فى بكائه على أورشليم « كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها، ولم تريدوا • هوذا بيتكم يترك لكم خرابا » (مت٢٣:٣٧،٣٨) ومثال ذلك أيضا توبيخ الرب لليهود اذ قال لهم « **ولا تريدون أن تأتوا الى لتكون لكم حياة » (يو ٥ : ٤٠)** •

ويدخل فى هذا النطاق أيضا مثال العرس والمدعوين • اذ يقول الرب عن صاحب العرس « وأرسل عبيده **ليدعوا المدعوين الى العرس ، فلم يريدوا أن يأتوا » (مت ٢٢ : ٣)** انهم مدعوون الى العرس ، وليسوا معدين للهلاك • الله يفتح لهم ملكوته ، ولكنهم يرفضون أن يدخلوا • وفى مثال العرس هذا نجد أن الدعوة تكررت أكثر من مرة ومن مرتين • وفى كل مرة يرسل الرب الى هؤلاء المدعوين عبيدا آخرين ، ولكنهم لم يريدوا أن يأتوا • لذلك ختمت هذه المأساة بقول الرب لعبيده

« أما العرس فمستعد ، وأما المدعوون فلم يكونوا مستحقين »
(مت ٢٢ : ٨) •

ومن أعمق الأمثلة على مدى اهتمام الله بارادة الانسان فى تقرير مصيره • أن السيد المسيح له المجد يقول للمريض قبل شفائه « **أتريد أن تبرأ ؟** » (يو ٥ : ٦) • ان الطبيب العظيم مستعد أن يشفى ، ولكن مشكلة الذين يهلكون هى أنهم لا يريدون أن يبرأوا •

د ـ الله مستعد أن يرجع عن حكمه :

هل يوجد أوضح من هذا دليلا على عمق رغبة الله فى الاهتمام بخلاصنا ؟! لا مانع لدى الله فى أن يرجع عن حكمه، ان رجع الانسان عن شره وطلب لنفسه الخلاص •

يعلن الله هذه الحقيقة قائلا :

« واذا قلت للشرير موتا تموت • فان رجع عن خطيئته وعمل بالعدل والحق ••• وسلك فى فرائض الحياة بلا عمل اثم ، فانه حياة يحيا • لا يموت • كل خطيئته التى أخطأ بها لا تذكر عليه • عمل بالعدل والحق ، فحياة يحيا » •
(حز ٣٣ : ١٤ ـ ١٦)

وهذا المعنى ذاته ذكره الله أيضا فى سفر أرمياء النبى ، اذ قال « تارة أتكلم على أمة وعلى مملكة بالقلع والهدم والاهلاك، فترجع تلك الأمة التى تكلمت عليها عن شرها ، فأندم عن الشر الذى قصدت أن أصنعه بها • وتارة أخرى أتكلم على أمة

وعلى مملكة بالبناء والغرس • فتفعل الشر فى عينى فلاتسمع لصوتى ، فأندم على الخير الذى قلت انى أحسن اليها به »
(أر ١٨ : ٧ ـ ١٠)

ولنا مثل عملى واضح فى قصة نينوى : لقد أصدر الله عليها حكما • ولكن أهل نينوى تابوا بمناداة يونان • وهكذا يقول الكتاب «فلما رأى الله أعمالهم أنهم رجعوا عن طريقهم الرديئة، ندم الله على الشر الذى تكلم أن يصنعه بهم فلم يصنعه »
(يونان ٣ : ١٠)

اذن فالأمر يتوقف على الانسان • ولذلك فان معلمنا يعقوب الرسول يقول « اقتربوا الى الله ، فيقترب اليكم » (يع ٤ : ٨) . والله نفسه يقول فى سفر ملاخى النبى « ارجعوا الى ، ارجع اليكم » (ملا ٣ : ٧) •

هـ ـ الرد على بعض الاعتراضات :

نبدأ أولا بقول بولس الرسول فى الرسالة الى رومية « ونحن نعلم أن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله ، الذين هم مدعوون حسب قصده • لأن الذين سبق فعرفهم ، سبق فعينهم ، ليكونوا مشابهين صورة ابنه ••• » (رو ٨ : ٢٨ـ٣٠) • ونلاحظ فى هذا النص ملاحظات هامة وأساسية :

نلاحظ أنه قال « كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله » ولم يقل « للذين يحبهم » فالأمر متوقف عليهم لا عليه •

وهذا ينطبق أيضا على قول بولس الرسول « بل كما هو مكتوب ما لم تره عين ولم تسمع به اذن ولم يخطر على بال انسان ، ما أعده الله للذين يحبونه » (اكو ٢ : ٩) ولم يقل أيضا « للذين يحبهم » • لأن الأمر يتعلق في خلاصهم على ارادتهم هم •

ملاحظة ثانية ، وهي أن تعيين الله ليس مرجعه الى اختيار الله وانما الى سبق معرفته • كما قال « الذين سبق فعرفهم• سبق فعينهم » • فالله بسبق معرفته ، وبادراكه لما سوف يحدث في مستقبل الزمان ، عرف من هم الذين سوف يسلكون حسب مرضاته بالبر والاستقامة بكامل اختيارهم • وهؤلاء الذين سبق فعرفهم سبق فعينهم •

هذا الكلام ينطبق أيضا على قصة يعقوب وعيسو « كما هو مكتوب أحببت يعقوب وأبغضت عيسو » (رو ٩ : ١٣) . فالله بسبق معرفته كان يعرف أن عيسو سيكون انسانا مستبيحاً ، قاتلا ، يستهين بالبكورية ويبيعها بأكلة عدس • وكان يعرف أيضا وداعة يعقوب وحبه للخير •

فأحب الله في يعقوب ما رآه فيه بسبق المعرفة ، وأبغض في عيسو ما رأى أنه سيحدث منه بسبق المعرفة أيضا •
ولكننا لا نستطيع مطلقاً أن نقول ان الله عين عيسو للهلاك ، وعين يعقوب للخلاص ، بمعنى أنه كتب على عيسو الهلاك مهما كان اختياره !! واختار يعقوب للخلاص مهما كانت أعماله !! حاشا لله أن يفعل هذا •

يأتي بعد ذلك قول الكتاب « ألعل الجبلة تقول لجابلها لماذا صنعتني هكذا. أم ليس للخزاف سلطان على الطين أن يصنع من كتلة واحدة اناءا للكرامة وآخر للهوان » (رو ٩ : ٢٠ ، ٢١).

نعم ان للفخاري سلطانا على الطين أن يصنع منه ما يشاء اناءاً للكرامة أو للهوان ، وليس للطينة أن تقول له « لماذا صنعتني هكذا » . ولكن الفخاري أيضا حكيم وعادل .

ومن التفسيرات الجميلة التي سمعتها عن هذا الموضوع ان الفخاري - مع كامل حريته وسلطانه - ينظر بحكمة الى قطعة الطين ويفحصها . فان رآها جيدة وناعمة ولينة وتصلح أن تكون اناءاً للكرامة ، فانه لابد سيجعلها اناءا للكرامة .

من غير المعقول أن تقع طينة رائعة في يد فخاري ، فيصنع منها اناءا للهوان . لأنه فخاري حكيم . أما اذا كانت الطينة خشنة ورديئة ، ولا تصلح اناءاً للكرامة ، فان الفخاري مضطر - بما يناسب حالتها - أن يصنع منها اناءاً للهوان .

فالأمر اذن وقبل كل شيء ، يتوقف على حالة الطينة ومدى صلاحيتها ، مع اعترافنا بسلطان الفخاري وحريته .

ان الفخاري ، على قدر امكانه ، يحاول أن يصنع من الطين الذي أمامه آنية للكرامة ، على قدر ما يساعده الطين على ذلك .

ولذلك قال الرب « هوذا كالطين بيد الفخاري ، أنتم هكذا بيدي يا بيت اسرائيل . تارة أتكلم على أمه وعلى مملكة بالقلع والهدم والاهلاك . فترجع تلك الأمة التي تكلمت عليها عن شرها ، فأندم عن الشر الذي قصدت أن أصنعه بها . وتارة

أتكلم على أمه وعلى مملكة بالبناء والغرس فتفعل الشر في عيني فلا تسمع لصوتي ، فأندم على الخير الذي قلت اني أحسن اليها به » (أر ١٨ : ٦ ـ ١٠) ٠

يذكرنا هذا بمثل الزارع الذي خرج ليزرع (مت١٣:٣ـ٨): الزارع هو نفس الزارع ، والبذار هي نفس البذار ٠ ولكن حسب طبيعة الأرض التي سقطت عليها البذار ، هكذا كانت نتيجتها في التلف أو الاثمار٠ان الزارع لم يعد بذارا للجفاف أو للاحتراق أو لتختنق بالشوك أو ليأكلها الطير ٠ ولكن طبيعة الأرض هي التي تحكمت في الأمر ٠

الانسان حر اذن في اختيار مصيره ٠ « لأن من يزرع لجسده ، فمن الجسد يحصد فساداً ٠ ومن يزرع للروح ، فمن الروح يحصد حياة أبدية » (غلا ٦ : ٨) ٠

و ـ بحث الأمر من الناحية اللاهوتية :

ان مبدأ الاختيار هذا فيه ظلم وفيه محاباة ولا يتفق مع عدل الله الذي « يجازي الانسان حسب عمله » (٢ كو ٥ : ١٠). فاذا كان الله يرحم من يرحم ، ويترآف على من يترآف ، ويترك الباقين للهلاك ، فكيف يتفق هذا مع عدل الله ؟! ٠

والذين عينهم الله للهلاك ، ما ذنبهم ؟! الا يؤدي هذا الى أن يقع الخطاة في اليأس ، شاعرين بأنه لا فائدة من جهادهم، ما داموا أواني قد أعدت للهوان ٠ أما الأبرار فان هذا ولا شك

يدفعهم الى التراخي والتهاون • شاعرين أنهم مخلصون مخلصون، جاهدوا أو لم يجاهدوا ••• !! •

ثم ما معنى الثواب اذا كان هناك أشخاص مكتوب عليهم الهلاك قبل أن يولدوا ، وآخرون مكتوب لهم الخلاص قبل أن يولدوا ؟! • فالمختارون اذن ما فضلهم حتى يثابوا ؟ والأشرار ما ذنبهم حتى يعاقبوا ؟ •

وما لزوم الوصية اذن ، ان كان مصير الانسان محتما أطاع الوصية أو لم يطعها ! ثم ألا يتعارض مبدأ الاختيار هذا مع ارادة الانسان الحرة ؟

وما جدوى الشيطان أيضا في اختبار ارادة الانسان ؟
ما جدوى تعبه في اغراء المختارين وهم خالصون لا محالة مهما كانت اغراءاته ؟ وما جدوى تعبه في اسقاط غير المختارين ، وهم هالكون حتى ان لم يحاربهم •

وما لزوم الكرازة والتبشير والرعاية والتعليم ، ان كان ذلك سوف لا يغير شيئا مما كتب على الانسان من اختيار أو رذل ؟

ان فكرة الاختيار هذه توقع العالم في بلبلة ، وتتنافى مع عدل الله ، كما تتعارض أيضا مع ارادة الانسان الحرة •

- ٢ -

ماذا كان جهاد اللص حتى خلص ؟

ان الذين يدعون أن الخلاص هو بالايمان وحده ، يتساءلون: أية أعمال صالحة قد عملها اللص اليمين ، وأى جهاد جاهده حتى خلص ؟

ونحن نجيب بأن اللص عمل أشياء كثيرة ، أهمها :

أ ـ آمن اللص بالرب في ظروف قاسية جدا :

مجرد ايمان اللص لم يكن أمراً سهلا . لو أنه آمن بالرب، وهو يقيم الموتى ، ويشفى المرضى ، ويمشى على الماء ، وينتهر الريح ، ويعمل المعجزات الخارقة ، لقلنا ان تلك أمور واضحة لا تقبل الشك . ولكنه آمن بالمسيح وهو مصلوب ! آمن به وهو مهان ومحتقر من الناس ، وأمام الكل فى حالة ضعف ! يلطمونه ، ويبصقون على وجهه ، ويستهزئون به ، ويقولون له « تنبأ من لطمك » ! ...

كانت المقاومات كثيرة من كل ناحية أمام هذا الأيمان . ولو أن هذا اللص لم يؤمن لالتمس له الناس الأعذار .فكيف يمكن أن يؤمن برجل مصلوب مهان أنه اله ؟! لابد ان اللص كان محتاجا الى جهاد كبير مع نفسه من الداخل الى هذا الايمان، مقاتلا الشكوك الكثيرة التى تقف أمامه وتكاد تلغى ايمانه ..

كل من يقول ان اللص لم يجاهد ، يبدو أنه لم يتخيل ويتصور الموقف الذى أحاط باللص ... ذلك الموقف الذى أعثر فيه غالبية الناس ، حتى التلاميذ الذين قال لهم الرب « كلكم تشكون فى هذه الليلة لأنه مكتوب انى أضرب الراعى فتتبدد الخراف » (مر ١٤ : ٢٧) . وفعلا تبددت الرعية كلها ! ولم يستطع أن يقف الى جوار الصليب الا المريمات ويوحنا الحبيب فقط ... وهذا اللص !

انشق حجاب الهيكل ، واظلمت الشمس ، وتشققت الصخور ... فهل كان هذا كافيا للايمان ؟ اننا نعرف جيداً انه على الرغم من كل ذلك ، **لم يؤمن رؤساء الكهنة والكهنة والشيوخ والكتبة والفريسيون . كما لم يؤمن اللص الآخر أيضا** ... ان ايمان اللص اليمين لم يكن أمراً هينا .

ب ـ اعترف بالرب اعترافا كاملا :

ان عبارة « اذكرنى يا رب متى جئت فى ملكوتك » (لو ٢٣ : ٤٢) تحمل معانى كثيرة : فهو قد اعترف بالمسيح المصلوب ربا ، واعترف به أيضا ملكا . اعترف بأن للمسيح ملكوتاً ، وانه آت الى ملكوته ، أى أن ليس للموت سلطان عليه. وآمن أيضا بأن المسيح يمكنه أن يدخله الملكوت ، أى آمن بأن خلاصه سيكون على يد هذا المصلوب معه .

وكان لهذا اللص رجاء كبير . فعلى الرغم من كل ما فعله فى حياته من شرور بشعة ، آمن أنه يمكن لمثله أن يخلص وأن يدخل الملكوت ، عن طريق المسيح .

ولم يكتف هذا اللص بايمانه ، وانما اعترف بهذا الايمان علانية ، أمام الجميع ، بلا خجل ... الأمر الذى لم يقدر عليه بطرس الرسول وغالبية الرسل والتلاميذ .

ان اللص لم يعترف قط بايمانه بالمسيح ، وانما :

جـ - اعترف أيضا بخطاياه :

لم يكتف اللص بالاعتراف بالايمان ، وانما ملكته الغيرة المقدسة حينما سمع زميله يجدف على المسيح قائلا « ان كنت انت المسيح فخلص نفسك وايانا » . فأجابه اللص اليمين منتهراً « أو لا تخاف انت الله ، اذ أنت تحت هذا الحكم بعينه . أما نحن فبعدل (جوزينا) لأننا ننال استحقاق ما فعلنا . وأما هذا فلم يفعل شيئا ليس فى محله » (لو ٢٣ : ٣٩ - ٤١) .

وهكذا اعترف اللص بخطاياه ، واعترف باستحقاقه للعقاب . اعترف أنه اذ يموت مصلوباً ، انما ينال استحقاق ما فعل . فكأنه لم يستعظم الحكم ، وانما قال « نحن بعدل جوزينا » .

وكان هذا اللص روحياً فى مسلكه : فبينما كان اللص الآخر يفكر فى وسيلة للنجاة من الموت والصلب ، قائلا للمسيح « خلص نفسك وايانا » ، كان هذا اللص المؤمن يفكر فى أبديته ، ويفكر فى الملكوت ، ويتوسل الى السيد

من أجل خلاصه الأبدى ، لا من أجل أن ينقذه من موت الجسد. من جهة موت الجســـد فقد رضى اللص اليمين به عقابا على خطاياه • لكنه وجد هذه اللحظات لازمة له للتفكير فى أبديته . وانشغل ذهنه بالرب وملكوته ، لذلك نراه ايضا يدافع عن الرب •

د ـ دافع عن الرب :

وقف المسيح وحيدا لم يدافع عنه أحد ممن تنعموا بنعمه ومعجزاته • لم يدافع عنه أحد من رســله ولا من السائرين وراءه • وباستثناء اسماء قليلة ، ارتفع صوت هذا اللص ، يخجل الآلاف من ناكرى الجميل قائلا « وأما هذا فلم يفعـل شيئا ليس فى محله » •

دفاع عجيب من شخص يستقبل الموت ، دل به على أن البشرية ما تزال فيها بقية من خير • لذلك استحق أن يقول له الرب « اليوم تكون معى فى الفردوس » •

ايسأل الناس اذن ويقولون : ماذا كان جهاد اللص وما الذى فعله ؟ اننى اسألهم جميعاً سؤالا آخر يسرنى أن أسمع الاجابة عليه ، وهو : ماذا كان بامكان هذا اللص أن يفعل أكثر من هذا ، ولم يفعله ؟!

- ٣ -

كيف خلصوا بدون عماد ؟

يسأل البعض : كيف خلص الشهداء بدون عماد ، وكيف خلص هذا اللص اليمين بدون عماد أيضا ؟ مادامت المعمودية لازمة للخلاص .

الجواب : لقد شرحنا سابقا أن المعمودية فى جوهرها هى موت مع المسيح . ولذلك قال بولس الرسول « اعتمدنا لموته . فدفنا معه بالمعمودية للموت ... فان كنا قد متنا مع المسيح ، نؤمن أننا سنحيا أيضا معه » (رو ٦ : ٣ – ٨) . **فما دامت المعمودية موتا مع المسيح ، فاننا نقول فى صراحة ووضوح ان هذا اللص قد مات مع المسيح فعلا ...**

كذلك الشهداء قد ماتوا مع المسيح . اشتركوا معه فى الموت . وفى سفك دمائهم . لذلك تسمى الكنيسة مثل هذا الموت معمودية الدم . ولو أعطيت لهؤلاء فرصة من العمر، لتمموا معمودية الماء أيضا .



الفصل السابع

هل الخلاص ممكن خارجاً عن الكنيسة ؟



أقول ، اجابة على هذا السؤال ، بكل وضوح ومن غير تردد « ان الخلاص خارجا عن الكنيسة غير ممكن ، بل ومستحيل » •

لقد أسس المسيح له المجد كنيسته لتكون مستودعا للخلاص ، توزع من المواهب التى أودعها الروح القدس فيها لخلاص النفوس • وقد أنشأ الرب الكهنوت المسيحى ليكون قواما على عطايا الروح القدس ، وأداة مناسبة لتوصيل هذه المواهب والعطايا الى شعبه • ومنح رجال الكهنوت سلطانا أن يكونوا وكلاء عنه فى توزيع تلك المواهب (١) •

ومن دون هذا لا نفهم لماذا اختار ربنا يسوع المسيح رسلا

---

(١) « واعطى تلاميذه ليقدموا للجمع » (لوقا ٩ : ١٦)، (متى ١٤ : ١٩) ، (متى ١٥ : ٣٦) ، (مرقس ٦ : ٤١)، (يوحنا ٦ : ١١) •

سماهم تلاميذ وكلفهم أن يحملوا رسالته ويتولوا عنه بعد صعوده الى السماء رعاية النفوس وتدبيرها وقيادتها لينابيع الخلاص . وقد سماهم رسلا ووكلاء سرائره وزودهم بمواهب الروح القدس ومنحهم سلطانا روحيا ليعقدوا ويحلوا ، وما يعقدونه على الأرض يصير معقودا فى السماء ، وما يحلونه على الأرض يصبح محلولا فى السماء (٢) .

وما دام الرسل وخلفاؤهم من الاساقفة والكهنة صاروا وكلاء عن المسيح له المجد ، لهم أن يتصرفوا فى شئون الايمان وتدبير النفوس فى حدود اختصاصاتهم كوكلاء ، فلم يعد المسيح من بعد رئيس الكنيسة المنظور بل غير المنظور ، وأما الحبر الأعظم القائم خليفة للمسيح وللرسل فهو رئيس الكنيسة المنظور . وكما وهب من المسيح سلطانا أن يتصرف كوكيل (٣) فعلى الوكيل أن يكون أمينا (٤) للمهمة التى أقامه من أجلها الأصيل (٥) الذى سيسأله فى يوم الدين «أد حساب وكالتك» (٦)

---

(٢) (متى ١٨ : ١٨ ، ١٦ : ١٩) ، (يوحنا ٢٠ : ٢٣)

(٣) الاسقف وكيل لله (تيطس ١ : ٧) .

(٤) فليحسبنا الانسان كخدام المسيح ووكلاء أسرار الله . وانما يطلب الآن ههنا فى الوكلاء أن يوجد كل منهم أمينا (كورنثوس الأولى ٤ : ١ ، ٢) .

(٥) من ترى الوكيل الأمين الحكيم الذى يقيمه الرب على خدمه (لوقا ١٢ : ٤٢) ، (متى ٢٤ : ٤٥) .

(٦) (لوقا ١٦ : ٢) .

ودليلك على أن مخلصنا وهو قائم على يمين العظمة فى الأعالى (٧) يرقب أحوالنا تاركا تدبيرها للرسل ولخلفائهم من الأساقفة ورجال الكهنوت (٨) ، وقد منحهم السلطان كل السلطان ليتصرفوا فى كنيسة الله (٩) ، وسيحاسبهم متى جاء فى مجده ليدين الأحياء والأموات ، انه ظهر لمار بولس الرسول (١٠) ، لاول مرة ، وكان اسمه شاول الطرسوسى ، فى صورة البهاء التى اقنعت شاول أو بولس بأن المسيح الذى ظهر له فى الطريق الى دمشق هو « الرب الذى قام من بين الأموات وصعد الى السماوات وأنه يرقب أحوال كنيسته وأنه يحميها ويدافع عنها ، فقال له وهو مرتعد ومنذهل « ماذا تريد يا رب أن أصنع ؟ » (١٠) فماذا كان جواب الرب له : « قال : **قم وادخل المدينة (دمشق) وهناك يقال لك ماذا ينبغى لك أن تصنع » (١٠) .**

وهنا نقف لنتأمل ثم نتساءل ، لماذا لم يصرح الرب لعبده شاول بما يجب عليه أن يصنعه ، خاصة وقد ظهر له بنفسه ، ثم أن شاول ذاته وضع شخصه تحت تصرف الرب ، لكن الرب

---

(٧) (العبرانيين ١ : ٣) ، (٨ : ١) .
(٨) يقول الرسول بولس : فانما أنا مؤتمن على وكالة (كورنثوس الأولى ٩ : ١٧) .
(٩) تيموثاوس الاولى ٣ : ١٥ .
(١٠) (أعمال ٩ : ٥ ، ٦) ، (٢٢ : ٧-١٠) .

أحاله على الكنيسة المنظورة • فقال له « قم ادخل المدينة وهناك يقال لك ماذا ينبغي لك أن تصنع » • وتمشيا مع منطق هـذه السياسة الالهية في تدبير النفوس ظهر الرب في رؤيا لحنانيا الرسول أحد السبعين رسولا وقال له « يا حنانيا ، فقال هاءنذا يا رب • فقـال له الرب قم فانطلق الى الزقاق الذى يسـمى المستقيم والتمس في بيت يهوذا رجلا من طرسوس اسمهشاول فهوذا يصلى • وقد رأى في الرؤيا رجلا اسمه حنانيا داخـلا عليه وواضعا يده عليه لكى يبصر » (١١) فأجاب حنانيا يا رب انى قد سمعت من كثيرين عن هذا الرجل كم من الشر صـنع بقديسيك في أورشليم ••• فقال له الرب انطلق فان هذا لى اناء مختار ليحمل اسمى أمام الأمم والملوك وبنى اسرائيل وانى سأريه كم ينبغى أن يتألم من أجل اسمى » (١١) « فمضى حنانيا ودخل البيت ووضع يديه عليه قائلا يا شاول أخى ، ان الرب يسوع الذى تراءى لك في الطريق وأنت آت قد أرسلنى لكى تبصر وتمتلىء من الروح القدس • وللوقت وقع من عينيه شىء كأنه قشر فعاد بصره فقام واعتمد » (١١) •

ان هذه الواقعة الانجيلية فيها رد كاف على الذين يزعمون ان الصلة بين الانسان وبين الله يمكن أن تكون صلة مباشرة من غير تدخل الكنيسة ورجال الكهنوت ومباشرات الأسرار المقدسة •

---

(١١) (أعمال ٩ : ١٠ــ١٨) ، (٢٢ : ١٢ــ١٦) •

فالمسيح له المجد هو ذاته الذى ظهر لشاول وقد اختاره ليكون رسولا ، ومع ذلك لم يفده مباشرة بما ينبغى له أن يصنع ، بل احاله على الكنيسة المنظورة • وبدلا من أن يرشد شـاول ظهر بنفسه الى حنانيا الرسول فى رؤيا وأمره أن يذهب الى شاول ويضع يديه عليه ويعمده ، ويضع مرة أخرى يديه عليه لحلول الروح القدس للتثبيت والامتلاء (١٢) وهو السر الثانى من أسرار الكنيسة ، وجعل شاول أيضا يرى رؤيا مؤداها أن يضع حنانيا يديه عليه ، لكى يبصر (١٣) •

لماذا كل هذا التعقيد، يا رب ؟ أو لماذا هذا الطريق الطويل الملفوف ؟ لماذا وقد ظهرت لشاول الطرسوسى بنفسك تحيـل الأمر الى حنانيا وتكلفه بأن يذهب الى شاول ، وتجعل شاول يرى رؤيا ؟

ان الرب وقد وضع نظاما لا يمكن أن يهدمه ، بل هو أول من يحترمه • لقد أقام وكلاء ، ومنحهم سلطانا أن يكونوا نيابة عنه فى تدبير النفوس فلن يمكن أن يتجـاهل السلطان الذى وهبهم اياه ، وحتى لا يظن شاول وغير شـاول أنه يمكن أن تكون لهم صلة مباشرة من غير الكنيسة التى أقامها الرب نفسه على رعاية النفوس وتدبيرها •

وليس غريبا بعد ذلك أن يصر الرب على نفس السياسـة

---

(١٢) أعمال ٩ : ١٧ (١٣) أعمال ٩ : ١٢

فيما يتصل بقيام مار بولس فى خدمته • فمع أنه هو ، لـه المجد ، الذى دعاه للخدمة الرسولية وقال لتلميذه ورسـوله حنانيا عنه « فان هذا لى اناء مختار ليحمل اسمى أمام الأمم والملوك وبنى اسرائيل » لكن بولس لم يصبح رسولا الا بعـد أن أرسلته الكنيسة المنظورة بصورة رسمية ، فوضع الرسل أيديهم عليه بعد صلوات واعطوه يمين الشركة (١٤) فى الخدمة الرسولية •

جاء فى سفر أعمال الرسل عن آبائنا الرسل « وبينما هم يخدمون للرب ويصومون قال لهم الروح القدس : افرزوا لى شاول وبرنابا للعمل الذى دعوتهما اليه » (١٥) فماذا فعـلوا وقد تلقوا أمرا صريحا من الروح القدس ، مؤيدا للدعوة الأولى التى وجهها الرب يسوع بنفسه الى شاول وفى الرؤيا الىحنانيا الرسول ؟ ان الكتاب المقدس يجيب على سؤالنا فيقول «فصاموا حينئذ وصلوا ووضعوا أيديهم عليهما وصرفوهما » (١٥) •

فهل يجرؤ مسيحى بعد هذا البيان الصريح على أن يزعم أنه يمكن أن يتم الخلاص خارج الكنيسة ؟!

وثمت دليل آخر من سفر أعمال الرسل أيضا ، نسوقه من واقعة شهيرة مؤداها أن كورنيليوس وهو قائد مائة وثنى، لكنه كان تقيا يخشى الله هو وجميع أهل بيته ويعطى الشعب

---

(١٤) غلاطية ٢ : ٩ (١٥) أعمال ١٣ : ٢ ، ٣

صدقات كثيرة ويصلى الى الله فى كل حين . وانه نحو الساعة التاسعة من النهار رأى فى رؤيا جلية ملاك الله داخلا عليه وقائلا له : يا كورنيليوس : فتفرس فيه وقد داخله خوف فقال : ما الأمر يا سيد . فقال له : ان صلواتك وصدقاتك قد صعدت أمام الله تذكارا . فأرسل الآن رجالا الى يافا ، واستحضر سمعان الملقب بطرس.. **فهذا يقول لك ماذا ينبغى أن تعمل** » (١٦) .

وعلى الرغم من أن كورنيليوس رجل تقى ، وصلواته وصدقاته قد صعدت أمام الله تذكارا ، وعلى الرغم من أن ملاكا جاءه من السماء ليبلغه بقبول الله لصلواته وصدقاته لكن الملاك لم يستطع أن يكلمه مباشرة عن الخلاص وذلك أولا لأن الملاك الصالح لايتخطى حدود اختصاصه ، ولا يتعدى على اختصاصات الكنيسة المنظورة ، هذه الاختصاصات التى وضعها الرب نفسه ، والتى احترمها هو نفسه ليعلمنا أن نحترمها نحن بالأحرى . وثانيا ـ لئلا يظن كورنيليوس فى نفسه ، كما يظن بعض البروتستانت ، انه بتقواه قد صار فى غنى عن رجال الكهنوت الذين أقامهم الرب على رعاية النفوس وتدبير أمر خلاصها ، فيسقط فى كبرياء وفخ ابليس وصلف أعداء الخلاص الذين يجددون فى كل يوم خطيئة قورح وداثان

---

(١٦) أعمال ١٠ : ١ ـ ٦

وابيرام الـذين تعـالوا فى ذواتهم وقـالوا لموسى وهـرون : حسبكما . ان الجماعة كلهم مقدسـون . والرب فيما بينهم فما بالكما تترفعان على جماعـة الرب » (١٧) فتعـدوا على الكهنوت ، وفتحت الارض فاها وابتلعتهم أحياء (١٨) .

ان الملاك الذى تراءى لكورنيليوس ليعزيه لم يتراء لـه ليعفيه من لجوئه الى الكنيسة المنظـورة ، ولا ليهدم القواعـد والطقوس *التى رسمها الرب لكنيسته ، بل على العكس انه* تراءى له ليأمره بالالتجاء الى الكنيسة ويؤكد له أن صلواته وصدقاته التى صعدت أمام الرب تذكارا غير كافية بذاتهـا لتمنحه الخلاص ، فمن دون الكنيسة لا يسـتطيع أن يخلص لأن بركات الخلاص الذى تممه الرب يسوع بموته قد أودعها الرب فى كنيسته ، التى أقامها على هـذه البركات حارسـا ورقيبا ووكيلا مؤتمنا عنه .

وفعلا أطـاع كورنيليوس أمر الملاك وأرسل واسـتحضر مار بطرس الرسول وكان قد دعا انسباءه وأخص أصدقائه .. وقال له عند لقائه به وبعد أن حياه بخضوع وسـجد أمامه باتضاع (١٩) « فالآن ها نحن كلنا حاضرون أمام الله لنسمع

---

(١٧) العدد ١٦ : ٣٠ ، ٣٣

(١٨) سفر العدد ١٦ : ٣

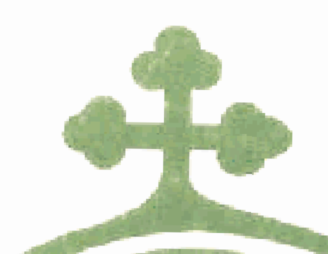
(١٩) أعمال ١٠ : ٢٤ ــ ٤٨

جميع ما أمرت به من قبل الرب • ففتح بطرس فاه » (١٩) وأخذ يبشرهم ويعلمهم ثم عمدهم جميعا باسم الرب يسوع(١٩) وانتظم كورنيليوس وأهل بيتــه وأنسباؤه وأصدقاؤه ممن آمنوا واعتمدوا فى جسم الكنيسة المقدسة وصاروا أعضــاء فى بيت الله ، وأبناء للكنيسة الواحــدة الوحيــدة المقدســة الجامعة الرسولية •

هذا هو الطريق المرسوم الذى عينه الرب للخلاص ، ولم، ولا ، ولن يسمح الرب ولا لنفسه ، ولا لأحد آخر أن يتخطاه أو يتعداه أو يتحداه •

---

(١٩) نفس المرجع السابق •



في هذا الكتاب





باسم الآب والإبن والروح القدس
الإله الواحد آمين

في موضوع الخلاص، كما في باقي الموضوعات اللاهوتية، لا يصلح تقديم آية واحدة من الكتاب لإثبات عقيدة...

إنما يجب على الباحث أن يلم بكل الآيات المتعلقة بالموضوع، ويجمعها من كافة مواضعها، لكي يصوغ منها كلاً متجانساً، يتفق مع الفهم اللاهوتي السليم...

وفي الكتاب الذي بين يديك، ترى مثالاً لهذا المنهج من البحث...

وهناك أجزاء أخرى من هذا الكتاب، في طريقها إليك، لتكملة موضوع «الخلاص»...

شنوده الثالث



الثمن ١٠٠ قرش



